رسالة لكل مسلم

من أجل نشر العلم النافع

قطوف من أدب النبوة

وسنن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -

إعـــــداد

العبد الفقير

محمد سيد سلطان عبد الرحيم أبو نبوت

الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر والمدرس في الجامع الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

هدية الرسالة

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَجْلَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ، قَالُوا: وَمَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ، قَالَ: رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ كان إذا أصبح قال : اللهم إني جعلت عِرْضِي لِمَنْ شَتَمَنِي " وفي رواية : " اللهم إني تصدقت بعِرْضي على عبادك " رواه أبو داود بسند صالح .

والمعنى فليس لي على أحد طلب الانتصار أو المقاصّة يوم القيامة ، وهذه نهاية السماحة ومكارم الأخلاق .

وقد قال الشيخ ابن القيم – رحمه الله – في كتابه " مدارج السالكين " : " ومن أفضل أنواع الصدقة التصدق بالعرض " ثم ذكر هذا الحديث .

فاعمل أخي المسلم بهذا الحديث وتخلَّقْ به ، والله تعالى يتولى هداك ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي جعل ذكره عدة للمتقين ، وذخيرة للشاكرين يتوصلون بها إلى خيري الدنيا والدين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البشر ، الذي أنزل عليه قوله : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ العنكبوت : ٤٥ فبين للعباد من فضائل الأذكار ، وما فيها من المنافع الكبار ، والفوائد ذوات الأخطار ، ما ملأ الأسفار وتناقلته الرواة في جميع الأقطار ، وكان به العمل في جميع الأعصار ، كما بين للناس من أدب نبوته ومحاسن سنته ، ما يكون سببًا لسعادتهم وفوزهم برضوان الله الأكبر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فجزاه الله تعالى عنا ما هو أهله، وصلى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه ومن تبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

ثم أما بعد

فهذه الرسالة تحتوي على آداب وسنن ، قولية وفعلية مقتبسة من سنة رسول الله - ﷺ - تجعل المسلم يعيش في معيته - ﷺ - متخلقًا بأخلاقه مقتديًا بسنته وآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه .

من هذه الآداب : ما يقوله المسلم عند البشارة بما يسر، وما يقوله المسلم أو يفعله عند الغضب وتوابعه ، ومنها ما يتعلق بالاستخارة والمشورة .

ومنها ما يتعلق بالتبري من أهل البدع ، والإعراض عن الجاهلين ، والحث على طيب الكلام ، وماذا يقول من كان في لسانه فحش ، وماذا يقول إذا خاف قومًا أو سلطانًا أو عدوًا .

ومن ذلك الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والفقر ، وما يقال عند الابتلاء بالدين ورجاء قضائه .

وما يقال إذا وقع في هلكة ، أو أصابه بلاء أو كرب أو هم أو حزن .

ومنها ما يتعلق بالأمور العلوية ، وما يقال عند القيام من المجلس ، وما يقوله المسْلم إذا رأى شيئًا يعجبه في نفسه وأهله وماله وولده ، وما يقوله إذا دخل السوق ، وما يقوله إذا كان يفزع في منامه ، أو رأى فيه ما يحب أو يكره ، أو إذا عرض له شيطان أو خاف منه ، أو ابتلي بالوسوسة ، وما يقوله إذا استصعب عليه أمر وأراد تسهيله وتيسيره .

وقد ختمت الرسالة بهذه القضية المهمة وهي دخول الجن في بدن المصروع ومسه وكيفية علاجه والوقاية من شره .

كل ذلك معضد بالأدلة القرآنية والنبوية التي تكفي وتشفي .

هذا وقد سميت هذه الرسالة " قطوف من أدب النبوة وسنن الرسول - ﷺ - " وذلك لاشتمالها على موضوعات شتى .

والله -ﷻ- أسأل أن ينفع بها كل من قرأها ودرسها ، وبلَّغ ما فيها للمسلمين أو طبعها أو وزعها حسبة لوجه الله الكريم ورجاء ثوابها في الآخرة ، فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في كل لمحة نفس عدد ما وسعه علم الله وكلما ذكره الذكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

بني عدي

في ٨ من شهر شعبان ١٤٣٧هـ

الموافق ١٥ من شهر مايو ٢٠١٦م .

كاتبه العبد الفقيرإلى مولاه القدير

محمد سيد سلطان أبو نبوت

خادم أهل العلم بالأزهرالشريف

[١]

﴿ بابُ ﴾
استحباب حمد اللّه - تعالى - والثناء عليه عندَ البِشارةِ بما يَسُرُّه

اعلم أنه يُستحبّ لمن تجدّدتْ له نعمةٌ ظاهرة ، أو اندفعتْ عنه نقمةٌ ظاهرة أن يسجد شكراً للّه - سبحانه وتعالى - وأن يحمدَ اللّه - تعالى - أو يثني عليه بما هو أهله ، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة .

الشروط الواجب توافرها فى السجدة :

وهذه السجدة يشترط لها شروط الصلاة من الطهارة وستر العورة والاستقبال ، ثم هى تشرع خارج الصلاة فقط ، فإذا سجدها فى أثناء الصلاة بطلت.

النعمة التى يشرع لها السجود :

والنعمة التى يندب لها السجود ما له خطر من حدوث ولد أو مال أو سلامة من سوء ومكروه أو نجاة صديق أو هلاك عدو ، وغير ذلك من النعم الظاهرة .

الأدلة من الأحاديث والآثار :

أخرج أبو داود وابن ماجه والترمذي والحاكم عَنْ أَبِي بَكْرَةَ- رضي الله عنه - قَالَ : **« كَانَ النَّبِيُ - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ سُرَّ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ - تعالى - »**

وروى أبو يعلى والبيهقي عن عبد الرحمن بن عوف قَالَ : **« كَانَ لا يُفَارِقُ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - مِنَّا خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - لِمَا يَنُوبُهُ مِنْ حَوَائِجِه بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. قَالَ: فَجِئْتُهُ وَقَدْ خَرَجَ فَاتَبَعْتُهُ فَدَخَلَ حَائطًا مِنْ حِيطَانِ الأَسْوَافِ فَصَلَّى فَسَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ وَقُلْتُ: قَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ. قَالَ: فَرَفَعَ**

رَأْسَهُ فَدَعَانِي فَقَالَ: " مَا لَكَ "؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطَلْتَ السُّجُودَ؟ فَقُلْتُ: قَبَضَ اللَّهُ رُوحَ رَسُولِهِ لا أَرَاهُ أَبَدًا. قَالَ: " سَجَدْتُ شُكْرًا لِرَبِّي فِيمَا أَبْلانِي فِي أُمَّتِي مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً مِنْ أُمَّتِي كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ . ﴾

فكان من السنة لمن أكرمه الله بشئ يرضيه أن يصلي لله - سبحانه وتعالى - ما يفتح الله به عليه من ركعتين أو أكثر شكرًا لله - سبحانه وتعالى - على نعمته : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم: ٧ ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ البقرة: ١٥٢

ويكون ذلك عند تجدد النعمة ، أو اندفاع النقمة ، سواء فيما يخصه ، أو يعم المسلمين ، إضافة إلى الشكر العملي بالصدقة ونحوها ، فالقول وحده لا يكفى فإن هو لم يستطع صلاة الشكر لسبب أو لآخر، فمن السنة أن يسجد لله شكراً على ما أولاه أو أنجاه سجدة واحدة كسجدة التلاوة كما كان يفعل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبى بكرة- رضي الله عنه - : **﴿ أنه شهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم فقام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فخر ساجداً .﴾**

وفى حديث البيهقي صحيحاً على شرط البخاري عَنِ الْبَرَاءِ بن عازب - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خر ساجداً حين جاءه كتاب علىّ- رضي الله عنه - من اليمن بإسلام همدان (قبيلة باليمن) وفيه : **﴿ فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا فَكَتَبَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - بِإِسْلامِهِمْ ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : السَّلامُ عَلَى هَمْدَانَ ، السَّلامُ عَلَى هَمْدَانَ ﴾** رواه البيهقي في السنن الكبرى : ٢ / ٣٦٩ .

قال البيهقي : " أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ صَدْرَ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مَسْلَمَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ ، وَلَمْ يَسُقْهُ بِتَمَامِهِ ، وَسُجُودُ الشُّكْرِ فِي تَمَامِ الْحَدِيثِ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِما " .

وقد أخرج أبو داود بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه - قال : **﴿ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ الْمَدِينَةَ فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَا نَزَلَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا اللَّهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَمَكَثَ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا اللَّهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَمَكَثَ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا ذَكَرَهُ أَحْمَدُ ثَلَاثًا، قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي وَشَفَعْتُ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا شُكْرًا لِرَبِّي، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَسَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الْآخِرَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﴾** ورواه البيهقي في السنن الكبرى.

وفى الصحيحين وغيرهما في قصة توبة كعب بن مالك- رضي الله عنه - حين جاءه البشير قال : **﴿ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ . ﴾**

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى : **﴿ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أَبْصَرَ رَجُلا بِهِ زَمَانَةٌ، فَسَجَدَ . ﴾**

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - سجد في سورة (ص) وقال : **﴿ سَجَدَهَا دَاوُدُ - عليه السلام - تَوْبَةً ، وَنَسْجُدُهَا شُكْرًا. ﴾** وذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب : ١ / ٢٠٥ .

وروى الطبراني في الأوسط والصغير عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: **﴿ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - لِحَاجَةٍ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَتْبَعُهُ، فَفَزِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَاهُ بِمِطْهَرَةٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - سَاجِدًا فِي سِرْبِهِ فَتَنَحَّى عَنْهُ مِنْ خَلْفِهِ حَتَى رَفَعَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا عُمَرُ حِينَ وَجَدْتَنِي سَاجِدًا،**

فَتَنَحَّيْتَ عَنِّي، إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ "

وثبت سجود الشكر من الراشدين الأربعة ومن بعض الصحابة كسيدنا كعب بن مالك كما مر، وأسماء بنت أبى بكر - رضي الله عنهما - في قصة قتل ابنها عبد الله بن الزبير- رضي الله عنه - .

والأفضل أن يسجد طاهراً ، على شئ طاهر وأن يكبر تكبيرة واحدة كتكبيرة سجود التلاوة – على رأى بعض الفقهاء – مستقبلا القبلة ، وقد نقل الصنعاني وغيره جواز سجود الشكر بلا طهارة ، لا في النفس ولا في المكان ، لأنه عند القائلين بهذا ليس بصلاة ، بل هو نوع من الدعاء .

وقد استحسن بعض الأئمة إخراج الصدقة مع صلاة الشكر أو سجدة الشكر كما فعل سيدنا كعب بن مالك- رضي الله عنه - فخير الشكر ما كان عملا من جنس النعمة .

وسجدة الشكر كسجدة التلاوة تجوز على الدابة بالإيماء ، ولكنها لا تجوز في الصلاة ، بل قد يبطل لو فعلها فيها على رأى بعض الفقهاء وعليه أن يطيل السجود ويسبح تسبيح الصلاة ، ثم يجزل الثناء على الله - سبحانه وتعالى - ويقول : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٨

ويقول : **﴿ اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ. ﴾**

كما رواه الحاكم وابن حبان والترمذي في سجود التلاوة ، وإن شاء دعا بأي دعاء فالأمر واسع .

وتكره سجدة الشكر في أوقات الكراهة عند اصفرار الشمس وعند الإسفار البين وتحرم عند طلوع الشمس وعند غروبها .

والله – تعالى - أعلم وأحكم

[٥]

﴿ بابُ ﴾

ما يقول إذا غضب

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٤ وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦

ضابط الغضب :

الغضب غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عن خشية وقوعه ، أو للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه.

وقيل : عرض يتبعه غليان دم القلب لإرادة الانتقام .

ويؤيد التعريف الأول ما وراه الإمام أحمد- رضي الله عنه - والترمذي : - عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في خطبته : **« أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَالْأَرْضَ الْأَرْضَ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَا، وَشَرَّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الرِّضَا، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، وَسَرِيعَ الْغَضَبِ وَسَرِيعَ الْفَيْءِ، فَإِنَّهَا بِهَا »** أي تعدل هذه بتلك .

فالغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، وأنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجرِ النارَ من الحديد ، وقد انكشفت للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع من عرق إلى

الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ الأعراف: ١٢ فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب .

نتائج الغضب :

ومن نتائجه وآثاره السيئة تلك الأفعال المحرمة ، كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان ، والفحش في القول كالقذف والسب والشتم ، وربما ارتقى إلى درجة الكفر كما جرى لجبلة بن الأيهم ، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شرعاً ، وكطلاق الزوجة الذى يعقبه الندم .

ومن نتائجه كذلك الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ، ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معهما سائر الجسد .

وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ! ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينقيه ، ويعالجه إن رسخ فى قلبه ويداويه ؛ فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ، ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ، ما لم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر ويقصيه (١) .

أنواع الغضب :

الغضب نوعان : غضب مذموم ، وغضب محمود .

---

[١] – ينظر : إحياء علوم الدين : ٣ / ١٦٤ ، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ، ص ١٩٦ .

فالغضب المذموم : هو الغضب للدنيا ، ويتسبب فيه الشيطان الرجيم .

وفى الصحيحين عن سليمان بن صرد- رضي الله عنه - قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- : **« إنّي لَأعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أعُوذ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »** ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ .

وهذا مستمد من قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦

قال الإمام النووي تعليقاً على قول الرجل : " إني لست بمجنون " هذا قول من لم يتفقه في دين الله ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة ، ويتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون ، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان ، ولهذا يخرج الإنسان من اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم ، ومن ثم جاء النهى عن الغضب في الوصية التي رواها البخارى من حديث أبى هريرة- رضي الله عنه - : **« أنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- : أوْصِنِي، قَالَ: " لَا تَغْضَبْ " فَرَدَّدَ مِرارًا، قَالَ: " لَا تَغْضَبْ " »**

وفى رواية الترمذي : **« جاءَ رَجُلٌ إلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: عَلِّمْنِي شَيْئًا وَلَا تكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِّي أعِيه، قَالَ: " لَا تَغْضَبْ " فَرَدَّدَ ذلِكَ مِرارًا، كُلُّ ذلِكَ يَقُولُ: " لَا تَغْضَبْ " »**

وفى رواية الإمام أحمد قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- مَا قَالَ ، فَإِذَا الْغَضَب يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ .

وروى أبو داود في سننه بسند حسن حديثاً مرسلاً عن سعيد بن المسيب- رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ: ﴿ **بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَآذَاهُ فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ**﴾

ومن الغضب المذموم ما يؤدي بالمرء إلى الردة – عياذًا بالله :

من ذلك ما رواه أصحاب السير : أَنَّه لَمَّا أَسْلَمَ جَبَلَةُ بْنُ الأَيْهَمِ الْغَسَّانِيُّ، وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ جَفْنَةَ وَذَلِكَ فِي خِلافَةِ عُمَرَ وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِإِسْلامِهِ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَسُرَّ عُمَرُ بِذَلِكَ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْقُدُومِ، فَخَرَجَ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ حَتَّى إِذَا قَارَبَ الْمَدِينَةَ عَمَدَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَحَمَلَهُمْ عَلَى الْخَيْلِ وَقَلَّدَهَا قَلائِدَ الْفِضَّةِ، وَأَلْبَسَهُمُ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ، وَلَبِسَ تَاجَهُ وَفِيهِ قُرْطُ مَارِيَةَ جَدَّتِهِ، وَبَلَغَ عُمَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالنُّزُلِ هُنَالِكَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي هَيْئَتِهِ، فَلَمْ تَبْقَ بِكْرٌ وَلا عَانِسٌ إِلا خَرَجَتْ تَنْظُرُ، فَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ فَرَحَّبَ بِهِ، ثُمَّ أَقَامَ أَيَّامًا، وَأَرَادَ عُمَرُ الْحَجَّ، فَخَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ هَيْئَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَطِئَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِزَارَهُ مِنْ خَلْفِهِ فَانْحَلَّ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَهَشَّمَ أَنْفَ الْفَزَارِيِّ، فَمَضَى يَسْتَعْدِي عُمَرَ عَلَيْهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَتَى، فَقَالَ: هَشَّمْتَ أَنْفَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: نَعَمْ، اعْتَمَدَ حَلَّ إِزَارِي، وَلَوْلا حُرْمَةُ الْكَعْبَةِ لَضَرَبْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَقْرَرْتَ، فَإِمَّا أَنْ تُرْضِيَ الرَّجُلَ وَإِلا أَقَدْتُهُ مِنْكَ، قَالَ: أَوَخَطَر هُوَ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ وَأَنَا مَلِكٌ وَهُوَ سُوقَةٌ؟ قَالَ عُمَرُ:

الإِسْلامُ جَمَعَكُمَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنِّي أَكُون فِي الإِسْلامِ أَعَزَّ مِنِّي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: هُوَ مَا تَرى، فَقَالَ: إِذِنْ أَتَنَصَّرُ، قَالَ: إِنْ فَعَلْتَ قَتَلْتُكَ، وَاجْتَمَعَ مِنْ حَيِّ الْفَزَارِيِّ وَحَيِّ جَبَلَةَ عَلَى بَابِ عُمَرَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَقَالَ: أنا أَنْظُرُ فِي هَذَا الأَمْرِ لَيْلَتِي هَذِهِ، فَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِه، فَلَمَّا ادْلَهَمَّ اللَّيْلُ تَحَمَّلَ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ فِي خَمْسِ مِائَةٍ حَتَّى دَخَلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي زَمَنِ هِرْقِلَ، فَتَنَصَّرَ وَقَوْمُهُ .

فتأمل أخي المسلم كيف حمل الكبر والغضب والحدة هذا الرجل على الارتداد والخروج من ملة الإسلام - ومثله من يغضبون لأتفه الأسباب ويسبون دين الله تعالى مرارا وتكراراً فى المجلس الواحد – نسأل الله العافية من ذلك .

أضرار الغضب على جسم الإنسان :

وكما أن للغضب أضراره الدينية – كما رأيت – فإن له أضراره البدنية فقد ذكر الأطباء أن الغضب يؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم الذى قد ينشأ عنه الشلل النصفى ، والسكتات الدماغية ، والذبحات الصدرية التى تؤدى إلى إنهاء الأجل أحيانا ، وكذلك الإصابة بالقولون العصبى ، بالإضافة إلى ما يسببه من حالات الهستريا والاكتئاب ، وانفصام الشخصية ، والانهيار العصبى ، وغير ذلك مما لا يحصى من أمراض الدم والأعصاب فالغضب كما قال الإمام جعفر الصادق- رضي الله عنه - : " مفتاح كل شر" .

الغضب المحمود : هو الغضب لله – تعالى - إذا انتهكت محارمه ، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الزخرف: ٥٥ قال

ابن عباس - رضي الله عنهما - : { آسفونا } أغضبونا ، فالله – تعالى - يغضب إذا انتهكتْ محارمه غضبا يليق بجلاله وكماله .

وفي الشمائل المحمدية للترمذي عن هِنْدِ بْنُ أَبِي هَالَةَ - رضي الله عنه - في وصف النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ وَلا تغْضِبُهُ الدُنيَا، وَلا مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تعُدِّيَ الْحَقُّ، لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ، حَتى يَنتصِرَ لَهُ، وَلا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلا يَنتصِرُ لَهَا . ﴾

وفى الصحيحين عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت : ﴿ مَا انتقَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ، حَتَى يُنتهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتقِمَ لِلَّهِ.﴾

معنى قوله – صلى الله عليه وآله وسلم – : " لا تغضب " :

ومعنى : " لا تغضب " يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون مراده الأخذ بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء والحلم والحياء والتواضع والتحمل وكف الأذى والعفو والصفح وكظم الغيظ والطلاقة والبشر ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة ، فإن النفس إذا تخلقت بهذه الصفات وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصوله .

الثانى : أن يكون المراد : لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به ؛ فإن الغضب إذا ملك ابن آدم كان كالآمر والناهي له ، وصار في يد الشيطان بقلبه كما يقلب الصبيان الكرة .

ولهذا المعنى قال الله - سبحانه وتعالى - في حق سيدنا موسى - عليه السلام - : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ الأعراف: ١٥٤ فإذا لم يمتثل الغاضب لما يأمره

به غضبه وجاهد نفسه على ذلك ، اندفع عنه شر الغضب ، وربما يسكن غضبه وذهب عاجلا وكأنه لم يغضب ، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى بقوله في وصف المؤمنين : ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ الشورى: ٣٧ ، ﴿ **وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ آل عمران: ١٣٤

علاج الغضب :

الاستعاذة : كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ** ﴾ الأعراف: ٢٠٠ بأن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويكررها ثلاثا أو عشر مرات فقد روى أبو يعلى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ **مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مَلَكًا يَذُودُ عَنْهُ الشَّيْطَانَ.** ﴾

الوضوء : روى أبو داود عن أبي وَائِلٍ الْقَاصِّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّعْدِيِّ فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ، فَأَغْضَبَهُ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ تَوَضَّأَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ **إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَوَضَّأْ .** ﴾

كظم الغيظ : كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ **وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ** ﴾ قال ابن كثير: أي إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوا به - وفي الحديث المتفق عليه – عن أبي هريرة- رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ﴿ **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ .** ﴾

وروى الترمذي وابن ماجه عن معاذ بن أنس الجهني أن النبي - ﷺ - قال : **﴿ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ . ﴾**

اللصوق بالأرض : لحديث أبي ذر- رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : **﴿ إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ الْغَضَبُ عَنْهُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ . ﴾** رواه أبو داود ، وفي حديث أبي سعيد : **﴿ فمن أحس بشئ من ذلك فليلتصق بالأرض .﴾**

الدعاء : روى ابن السني عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : **﴿ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَأَنَا غَضْبَى، فَأَخَذَ بِطَرَفِ الْمِفْصَلِ مِنْ أَنْفِي فَعَرَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: " يَا عُوَيِّشُ، قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ . ﴾**

والله - سبحانه وتعالى - يتولى هدانا جميعا إنه نعم المجيب

﴿ بابُ ﴾

ما يقول من كان في لسانه فُحش

معنى الفحش والبذاءة :

قال ابن الجزري في النهاية في غريب الحديث : البذاءة بالمد : الفحش في القول وهو بذيّ اللسان وقد يقال بالهمز وليس بكثير. ا هـ

وقيل البذي : من لا حياء له ، وقيل الفحش النطق بما لا ينبغي من القول والبذاءة سوء الخلق .

روى الترمذي والإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب كلهم من حديث عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **﴿ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ . ﴾** وفي رواية البيهقي : **﴿ ولا الفاحش البذئ . ﴾**

قوله : (ليس المؤمن) أي : الكامل ، وقوله : (بالطعان) أي : كثير الطعن في الأنساب الثابتة وقوله (ولا اللعان) أي كثير اللعن ، بل قد يقع منه لمن يجوز لعنه من الشيطان ونحو الكافر.

وروى الترمذي وابن ماجه والامام أحمد والبخاري في الأدب المفرد كلهم من حديث أنس- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **﴿ مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ "** قال الترمذي : حديث حسن صحيح

وروى ابن ماجه و ابن السني عن حذيفة- رضي الله عنه - قال : شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَرَبَ لِسَانِي، فَقَالَ: **" أَيْنَ أَنتَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - عز وجل - فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ "**

معنى ذرب اللسان :

قال الإمام النووي - رحمه الله - : الذَّرَب بفتح الذال المعجمة والراء ، قال أبو زيد وغيره من أهل اللغة هو فحش اللسان . وقال ابن الجزري : أي حدَّتَه فلا يبالي ما يقول ، وفي القاموس : ذرب اللسان محركة : فساد اللسان وإيذاؤه والفحش .

لماذا كان الاستغفار هو الدواء ؟

وقوله : أين أنت من الاستغفار؟ أي : كيف يغيب عن فهمك الاستغفار وكان ينبغي أن تستحضره وتعلم أن من لزمه أذهب الله عنه فحش لسانه .

ولا منافاة بين ملازمة الاستغفار لذي البذاءة ، وطلب الاستحلال ممن أذاه بأن يقول له : سامحني يا فلان أو اجعلني في حلّ مما أخطأت فيه . فإنه مع الاستحلال لا يستغنى عن الاستغفار لحق الله - سبحانه وتعالى - فيجمع بين الأمرين الاستحلال والاستغفار ؛ ليؤدي الحقين .

وقد روى البخاري في صحيحه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **﴿ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ . ﴾**

قال الشوكاني في تحفة الذاكرين بشرح عدة الحصن الحصين لابن الجزري في هذا الحديث يعني ذرب اللسان دليل على أن سبب ذرب اللسان هو الذنوب فإذا غفرها الله تعالى بالاستغفار ذهب ذلك عن صاحبه وأما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو معصوم عن ذلك .

الحكمة من الاستغفار :

من المعلوم أن من أسباب وقوع المصائب ومنها ذرب اللسان وفحشه ، الذنوب ودواء الذنوب الاستغفار فعن أبي ذر- رضي الله عنه - مرفوعا : ﴿ **إن لكل داء دواءً ، وإن دواء الذنوب الاستغفار .** ﴾ ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم .

وقال قتادة : ((إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فأما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار)) ومما يبين فوائد الاستغفار العظيمة قوله - ﷺ - : ﴿ **مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .** ﴾ رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه .

قصة :

ففي الاستغفار تكون النعم وتدوم ، وتندفع المصائب والنقم وترفع بإذن الله - تعالى - ، وتغفر الذنوب التي هي سبب نزول البلايا والمصائب، فقد شكا رجل إلى الحسن البصري - رحمه الله - الجدوبة - أي : قلة الماء - فقال له : استغفر الله . وشكا آخر إليه الفقر ، فقال له : استغفر الله . وشكا إليه ثالث قلة الولد ، فقال له : استغفر الله . وشكا إليه رابع جفاف بستانه ، فقال له : استغفر الله ، فقلنا له في ذلك أي : سأله أصحابه عن تعدد الأسئلة والإجابة واحدة . فقال : ما قلت من عندي شيئا ، إن الله - تعالى - يقول في سورة نوح على لسانه لقومه : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟

رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٠-١٢

الحكمة من استغفار الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- :

أما قوله - ﷺ - : ﴿ إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة . ﴾ أي أني مع جلالة قدري وعصمة أمري لأستغفر الله أي : لأمتي أو لتقصيري في عبادتي أو لغفلتي عن حقيقتي ، أو لقناعتي بمرتبتي في الحال وعدم الاستزادة في العلم وقرب المتعال فإنه لا نهاية لغايتها عند أرباب الكمال .... فبين أنواع استغفار الأبرار والاستغفار الصادر من الفجار بون عند ذوي البصيرة والأبصار. اهـ قاله ابن علان الصديقي في الفتوحات الربانية على الأذكار النووية .

وفي الفتح للحافظ ابن حجر أجوبة أخرى منها قواعد ابن بطال : الأنبياء أشد الناس اجتهادًا في العبادة لما أعطاهم الله من المعرفة ، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير. اهـ

ومحصل جوابه : أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله - سبحانه وتعالى - ويحتمل أن يكون الاستغفار لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل وشرب أو نحو ذلك بالنسبة إلى المقام العلي وهو الحضور في حظيرة القدس ، ومنها أن الاستغفار تشريع لأمته ، وقال الغزالي : كان - ﷺ - دائم الترقي فإذا ارتقى إلى حال رأى ما قبلها ذنبًا فاستغفر من الحال السابقة

وأما قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ محمد: ١٩

فهو أمر له بالتحدث بنعمة الله عليه بعصمته من الذنوب ، والتحدث يكون في صورة طلب واستغفار كما يكون في صيغة خير واستبشار .

والحكمة من هذا الأمر تنبيه الأمة إلى الاستغفار تأسياً بنبيها -ﷺ- وعطف قوله : (وللمؤمنين والمؤمنات) ليفيد تشريف الأمة باستغفار نبيها -ﷺ- مع الإشارة إلى أنه - عليه الصلاة والسلام - مأذون له بالشفاعة فيهم لأن الاستغفار استشفاع . اهـ من كتاب فضائل النبي -ﷺ- في القرآن للشيخ الغماري

ثم وجه المناسبة بين جملة (أين أنت من الاستغفار) وبين جملة (إني لأستغفر الله -عز وجل- كل يوم مائة مرة) : الحث والحض ، لأنه إذا كان -ﷺ- مع تنزهه عن كل وصف دني وتحليه بكل نعت سني يكثر من الاستغفار لعظم ثمرته وشرف نتيجته ، فمن ابتلى بالنقص أولى بملازمته كالصابون لدرنه - أي وسخه- اهـ من الفتوحات الربانية .

روى البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : **﴿ وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ -عز وجل- وَأَتوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً.﴾**

وروى مسلم عن الأغر بن يسار المزني- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ .﴾**

ففي هذين الحديثين دلالة على وجوب التوبة والاستغفار من الذنوب والمعاصي قولًا أو فعلًا ؛ لأن النبي -ﷺ- أمر بهما وكان يفعلهما .

فإذا تاب الإنسان إلى ربه واستغفره فقد حصّل بذلك فائدتين :

الأولى : امتثال أمر الله ورسوله -ﷺ- وفي ذلك سعادة الدنيا والآخرة .

الثانية : الاقتداء برسول الله - ﷺ - حيث كان يتوب إلى الله - سبحانه وتعالى - ويستغفره في اليوم مائة يعني يقول : (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) ، بل كان يقول في المجلس الواحد كما روى مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال : ﴿ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . ﴾

وفي هذا دليل على أن رسول الله - ﷺ - أكثر الناس عبادة لله - سبحانه وتعالى - وهو كذلك ، فإنه أخشانا لله وأتقانا له وأعلمنا به - ﷺ -

وفيه دليل على أنه - ﷺ - معلم الخير بلسانه وفعاله فكان يستغفر الله ويأمر الناس بالاستغفار حتى يتأسوا به امتثالاً للأمر واتباعًا للفعل ، وهذا من كمال نصحه - ﷺ - لأمته ، فيجب علينا نحن أن نتأسى به في القول والفعل فهذا رسول الله - ﷺ - يأمرنا بالتوبة وهو - ﷺ - يتوب أكثر مما نتوب .

نسأل الله عزوجل أن يتوب علينا جميعاً ويهدينا صراطاً مستقيما.

﴿ باب ﴾

جواز دعاء الإنسان على من ظلم المسلمين أو ظلمه

توطئة :

المراد من الجواز ما يشمل الاستحباب فهو بمعنى عدم الحرمة والكراهة .

ثم إن كان الدعاء على من ظلم الناس ليندفع أذاه فهو مستحب ، وإن كان على من ظلمه هو أو أذاه فإنه يباح له الدعاء ، والأفضل أن يعفو ويصفح ؛ لقوله - سبحانه وتعالى - في شأن سيدنا أبى بكر الصديق- رضي الله عنه - مع مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ حين تحدث فى الإفك على السيدة عائشة - رضي الله عنها - :

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢

فقال سيدنا أبو بكر- رضي الله عنه - : بلى أحب أن يغفر الله لي.

ولما رواه ابن السنى عن أنس- رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال :

« أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ "؟ قَالُوا: مَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي وَعِرْضِي لَكَ، فَلا يَشْتُمُ مَنْ شَتَمَهُ، وَلا يَظْلِمُ مَنْ ظَلَمَهُ، وَلا يَضْرِبُ مَنْ ضَرَبَهُ . »

وذكر الإمام النووى في الأذكار: وأفضل منه أن يترحم على ظالمه ويدعو له بأن الله يهديه ، كما وقع لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يوم أحد لما شجوا رأسه وكسروا رباعيته ، فقال الصحابة : يا رسول الله ، ادع الله عليهم ،

فقال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون ، فصفح فيما يتعلق بحقه - ﷺ - ودعا لهم بغفران ما يتعلق بذلك الذنب واعتذر عنهم .

ونُقِل عن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - أن جنديا شج رأسه ، فقيل له : إنه إبراهيم بن أدهم ، فعاد إليه معتذراً ، فقال له : إنك بمجرد ما شججت رأسي دعوت لك بالجنة ، قال : وكيف يا سيدى ؟ قال : لأنك كنت سبباً لإيصال خير لي ، فلا أكون سبباً لإيصال شر إليك .

الأدلة على جواز الدعاء على الظالم :

قال الإمام النووي - رحمه الله - : اعلم أن هذا الباب واسعٌ جداً ، وقد تظاهرَ على جوازه – أي الدعاء على الظالم - نصوصُ الكتاب والسنّة، وأفعالُ سلف الأمة وخلفها ، وقد أخبرَ اللّه - سبحانه وتعالى - في مواضع كثيرة معلومة من القرآن عن الأنبياء - صلواتُ اللّه وسلامُه عليهم - بدعائهم على الكفّار .

كسيدنا نوح - عليه السلام - حينما قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ نوح: ٢٦ وكسيدنا موسى - عليه السلام - حين قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يونس: ٨٨ وكان سيدنا هارون - عليه السلام - يؤمن على دعائه ، ومن ثم قال الله - سبحانه وتعالى - بعدها : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ يونس: ٨٩

وروى الترمذي عن علي- رضي الله عنه - : أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: **﴿ اللَّهُمَّ امْلَأْ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نارًا كَمَا شَغَلُونا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتى غَابَتِ الشَّمْسُ. ﴾**

وروى الشيخان من طرق عديدة أنه - صلى الله عليه وسلم - دعا على الذين قتلوا القراء - رضي الله عنهم - وأدام الدعاء عليهم شهراً ، يقول : **﴿ لَعَنَ اللَّهُ رِعْلا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ الَّتِي عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَبَنِي لَحْيَانَ " . ﴾**

فائدة :

في " شرف المصطفى " جاءت الحمى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : **﴿ اذهبي إلى رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله . ﴾** فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة بكل رجل من المسلمين عشرة ، نقله ابن النحوي في شرح البخاري .

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود- رضي الله عنه - في حديثه الطويل في قصة أبى جهل وأصحابه من قريش حين وضعوا سلى الجزور – أي : وعاء الجنين – وهو من الآدمي " المشيمة " على ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - فدعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً قال: **﴿ اللهم عليك بقريش ثلاث مرات . ﴾** ثم قال : **﴿ اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن الوليد . ﴾** ، قال عبد الله بن مسعود : لقد رأيتهم صرعى يوم بدر سحبوا إلى قليب بدر – يعنى البئر- .

قال الشيخ زكريا الأنصارى : وفى الحديث الدعاء على الكفرة إذا آذوا المسلمين ولم يُرجَ إسلامهم ، قال صاحب المفهم : ولا خلاف في جواز

لعن الكفرة والدعاء عليهم ، قال : واختلفوا في جواز الدعاء على أهل المعاصي فأجازه قوم ومنعه آخرون ، قال العراقي : أما إذا كان الدعاء على أهل المعاصي أو لعنهم من غير تعيين فلا خلاف في جوازه .

وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر قال : فيه جواز الدعاء على الظالم لكن قال بعضهم : محله إذا كان كافرا ، أما المسلم فيستحب الاستغفار له والدعاء بالتوبة .

وفي الحديث حجة للجمهور في جواز الدعاء لمعين وعلى معين في الصلاة ومنعه الإمام أبو حنيفة فيها .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه - : قَالَ: ﴿ **كَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- يَدْعُو فِي الْقُنُوتِ اللَّهُمَّ أَنجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ .** ﴾

ومعنى : " اشدد عليهم " أي : خذهم أخذا شديداً ، وسنو يوسف هي السبع المجدبة وأضيفت إليه ؛ لأنه هو الذى قام بأمور الناس فيها .

وروى مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع- رضي الله عنه - : ﴿ **أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: " كُلْ بِيَمِينِكَ "، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: " لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ "، قَالَ : فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ .** ﴾

قال الإمام النووي : هذا الرجل هو بشر بن راعى العير الأشجعى صحابي ، ففيه الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا إذن ، وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى في الأكل ، وهل الأمر للإيجاب أو للاستحباب ؟ قولان ، وعلى كونه للاستحباب فالدعاء عليه ؛ لكونه قصد مخالفة المرام النبوي .

قال القاضي عياض : يدل هذا على أنه كان منافقا ، وتعقبه الإمام النووي بأن مجرد الكبر والمخالفة لا يقتضى الكفر والنفاق لكنه معصية إن كان الأمر للإيجاب ، ومحل النهى عن الأكل بالشمال حيث لا عذر ، فإن كان عذر من مرض أو جراحة أو غير ذلك يمنع الأكل باليمين فلا كراهة .

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بن سمرة قال : " شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَا أَخْرِمُ عَنْهَا أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الْأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الْأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ وَأَطِلْ فَقْرَهُ وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ . "

فائدة :

كان سعد مستجاب الدعوة فقد روى الترمذي وابن حبان والحاكم عن سعد أن النبي -ﷺ- قال: **«اللّهُمّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ.»**

وإنما ساغ لسعد أن يدعو على أسامة مع أنه مسلم ؛ لأنه ظلمه بالافتراء عليه.

والحكمة من الدعوات الثلاث:

أن أسامة نفى عنه الفضائل الثلاث التي هي أصول الفضائل:
الشجاعة التي هي كمال القوة الغضبية حيث قال: لا يسير بالسرية،
والعفة التي هي كمال القوة الشهوية حيث قال: لا يقسم بالسوية،
والحكمة التى هى كمال القوة العقلية حيث قال: لا يعدل فى القضية.

فدعا عليه بثلاث، والثلاث تتعلق بالنفس وهو طول العمر، وبما يتعلق بالمال وهو الفقر، وبما يتعلق بالدين وهو الوقوع فى الفتن.

وروى البخارى ومسلم عن عروة بن الزبير أن سعيدًا بن زيد -رضي الله عنه- خاصمْتُه أروى بنتُ أوْس -وقيل: أُويس- إلى مروان بن الحكم -وكان يومئذ والياً على المدينة المنورة- وادّعتْ أنه أخذ شيئاً من أرضها، فقال سعيد -رضي الله عنه-: أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله -ﷺ-؟ قال: ما سمعتَ من رسول الله -ﷺ-؟ قال: سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول: **«مَنْ أخَذَ شبْراً مِنَ الأرْضِ ظُلْماً طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أرَضِينَ.»** قال مروان: لا أسألُك بيِّنةً بعد هذا. فقال سعيد: اللهمّ إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلْها في أرضها، قال: فما ماتتْ حتى ذهبَ بصرُها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعتْ في حفرة فماتت.

أعاذنا الله من دعوة المظلوم إنه سميع قريب

[٢٥]

﴿ باب ﴾

التبري من أهل البدع

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى بُردة بن أبي موسى قال : وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا شَدِيدًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بَرِئَ مِنْ: الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ.

قال الإمام النووى : الصَّالقةُ : الصائحة بصوت شديد ، وقال غيره : الصالقة : هى التى تضرب وجهها ، والحالقةُ : هى التي تحلق رأسَها عند المصيبة ، أما الشَّاقةُ : فهى التي تشقُّ ثيابَها عند المصيبة .

وجوب الرضا بقضاء الله وقدره والتبري من أهل السخط :

معلوم أن من أركان الإيمان وجوب الرضا بما قضاه الله وقدَّره ظاهراً وباطناً فالمؤمن يختبر بالخير والشر والعسر واليسر تمحيصاً لما يدعيه من الإيمان والإسلام ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٥

وهذا الحديث يدل على وجوب التبري من أهل البدع الذين لا يرضون بقضاء الله وقدره فيجب عليه أن يتبرأ منهم اقتداء برسول الله - ﷺ - كما فعل سيدنا أبو موسى الأشعري حين أغمى عليه ورأسه في

حجر زوجته أم عبد الله صفية بنت أبى دومة ، فصاحت امرأة ممن كان حاضرًا فى الدار فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق تبرأ من فعلها .

لأن من رأى منكرًا أو سمعه فلابد أن يغيره بيده أو بلسانه أو بقلبه كما علمنا رسول الله -ﷺ- ويقول المسلم عند ذلك : " اللهم إن هذا منكر لا يرضيك ، اللهم إني أبرأ إليك من كل قول أو فعل يغضبك علينا " .

والتغيير باليد يكون في الأمور الخاصة بالمسلم في نفسه أو أهله أو ماله أو ولده ، وما سوى ذلك يكون بالوعظ والإرشاد إن تيقن النفع أو ظنه وإلا أنكر بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .

وهذا دليل آخر رواه الإمام مسلم في صحيحه عن يحيى بن يَعمر قال : قلتُ لابن عمر - رضي الله عنهما - : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَن، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ، مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَر . "

قال الإمام النووي : أُنُف بضمّ الهمزة والنون : أي مُستأنف لم يتقدّم به علم ولا قدر ، وكذب أهل الضلالة ، بل سبق علم اللّه - سبحانه وتعالى - بجميع المخلوقات أهـ.

الشرح والتوضيح :

اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ، ومعناه أنه - سبحانه وتعالى - قدر الأشياء في الأزل ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده

– سبحانه – على صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها – سبحانه – وأنكرت القدرية هذا وابتدعت ، وزعمت أنه – سبحانه – لم يقدرها ولم يتقدم علمه - سبحانه – بها ، وأنها مستأنفة العلم – أي أنه إنما يعلمها – سبحانه – بعد وقوعها – وكذبوا على الله عز وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً .

وسميت هذه الفرقة قدرية ؛ لإنكارهم القدر ، قال أصحاب المقالات من المتكلمين : وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع قبل الإمام الشافعي - المتوفى ٢٠٤ هـ - ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه .

وصارت القدرية الثانية في الأزمان المتأخرة (وهم المعتزلة) تعتقد إثبات القدر ، ولكن يقولون : الخير من الله ، والشر من غيره – تعالى الله عن قولهم – بل كل من عند الله .

وفى الحديث عن ابن عمر مرفوعًا : **﴿ القدرية مجوس هذه الأمة . ﴾**

رواه أبو حازم وأبو داود في سننه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم عن ابن عمر

والحديث شبههم بالمجوس لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى (يزدان) والشر إلى (أهرمن) يعنى إلهين .

وقال الخطابى : إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس فى قولهم بالأصلين : النور والظلمة ، يزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، وكذلك القدرية يضيفون

الخير إلى الله - سبحانه – والشر إلى غيره - ﷻ - والله – سبحانه – خالق الجميع ، لا يكون شئ منهما إلا بمشيئته ، فهما مضافان إليه خلقاً وإيجاداً ، وإلى الفاعلين من العباد فعلاً واكتساباً والله أعلم أهـ . ملخصاً من كلام الإمام النووى فى شرح مسلم ، زاد فى الحديث : " والذى يحلف به عبد الله ابن عمر : " لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر " .

قال الإمام النووى : هذا القول من ابن عمر - رضي الله عنهما - ظاهر في تكفيره القدرية .

قال القاضي عياض: القدرية الأُوَل الذين نفوا تقدم علم الله - ﷻ - بالكائنات ، والقائل بهذا كافر بلا خلاف ، وهؤلاء الذين ينكرون القدر فلاسفة في الحقيقة .

أما عقيدة أهل السنة والجماعة ، فقد قال الإمام اللقاني - رحمه الله - فى أرجوزته :

وواجب إيماننا بالقدر وبالقضا كما أتى فى الخبر

وقال سيدى أحمد الدردير - رحمه الله - :

فكل أمر بالقضاء والقدر وكل مقدور فما عنه مفر

والله – تعالى - يقول : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات: ٩٦

ويقول – سبحانه - : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الزمر: ٦٢ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ ﴾ الحديد: ٢٢

وفى حديث الصحيحين : **« الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . »**

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **« كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ . »** أي : كتب ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علمه - سبحانه وتعالى - فأهل السنة يؤمنون بالقضاء والقدر وأن الكل من الله - سبحانه وتعالى -

أما مذهب المعتزلة فإنهم يعتقدون أن الله يعلم الأشياء قبل وجودها غير أن أفعال العباد مقدورة لهم ، وواقعة منهم استقلالًا بسبب إقدار الله - سبحانه وتعالى - لهم بعد ، وهى عقيدة باطلة وصاحبها فاسق . كما ذكر العلامة الشيخ أحمد الصاوى فى شرحه على الجوهرة ، ص ٢٥٧ .

ومن ثم رد عليهم أهل السنة والجماعة .

قال الإمام اللقاني :

وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا   بِهِ وَلكِنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فَاعْرِفَا

فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلاَ اخْتِيَارَا   وَلَيْسَ كَلاًّ يَفْعَلُ اخْتِيَارَا

والمقصود من هذا الكلام بيان مذهب أهل السنة في أفعال العباد والرد على الجبرية والمعتزلة .

فإن الجبرية يقولون : العبد مجبور ظاهراً وباطناً ، فهو كالريشة المعلقة في الهواء ، وينكرون التكليف وإرسال الرسل أو يقولون : تعذيب

الله العبد على المعاصي ظلم – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وهم كفار لفساد عقيدتهم .

والمعتزلة يقولون : العبد مختار ظاهراً وباطناً ، يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وإلا لو كان الفعل لله لكان تعذيبه على المعاصى ظلماً ، وكلاهما باطل .

وأهل السنة يقولون : " العبد له فعل اضطراري كسقوط من جبل ، وكحركة المرتعش ، والتثاؤب ، والعطاس ، والنوم ، والجوع ، والعطش ، وغير ذلك من الأفعال التي لا اختيار للإنسان فيها .

وفعل اختياري : وهو فعل الله تعالى أيضا لكن باعتبار الخلق والإيجاد وينسب للعبد باعتبار الكسب والتسبب ، ومعنى الكسب تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل .

فمن عظيم قدرته – تعالى - إيجاد الفعل عند قدرة العبد لا بقدرته وإرادته استقلالًا ، وذلك كقطع السكين مثلًا فإن القطع عند إمرار السكين لا بالسكين فإنه يمكن تخلفه ، وقل مثل ذلك فى الشبع عند تناول الطعام والري عند الشرب ، والشفاء عند تناول الدواء ، والإحراق عند النار ، والإنبات عند سقى الزرع بالماء بعد وضع البذرة ودفنها فى التراب ، فمقارنة قدرة العبد وإرادته لإيجاد الله - تعالى - هو المسمى بالكسب .

والحجة عند أهل السنة فى ذلك قوله - تعالى - : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ الأنفال: ١٧ وقد ظهر فعل الله - تعالى - باعتبار الإيجاد ، والنسبة للعبد باعتبار الكسب جلياً واضحاً فى قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الأنفال: ١٧ أى : ما رميت إيجادًا حين رميت كسباً ، ولكن الله رمى إيجادًا .

ولو أردنا أن نفسر هذه الآية على ضوء ما قاله الجبرية أو المعتزلة لما استقام المعنى ا .هـ . من مدارك التنزيل للنسفي : ٢ / ٩٨ .

فظهر أن العبد لا تأثير له فى ذلك الفعل الاختياري كما قال : " ولم يكن مؤثراً فلتعرفا " .

وقال بعض العلماء المحدثين : يشبه عدم تأثير العبد في الفعل الاختياري بوصل إنسان شريطين من الكهرباء ، وحدوث شرارة عند التماس فإن أحداً لا يستطيع أن يسند صنع الشرارة إلى واصل الشريطين .

وقد قال سيدى أحمد الدردير - رحمه الله - فى منظومته المسماة بالخريدة البهية :

والفعل في التأثير ليس إلا للواحد القهار جلا و علا
ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعي فلا تلتفت

﴿ بابُ ﴾
الحث على طيب الكلام

نعمة البيان من أجل النعم التي أسبغها الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - على الإنسان ، وكرمه بها على سائر الخلق قال الله-عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن: ١ - ٤

وقد بين الإسلام كيف يستفيد الناس من هذه النعمة المسداة ، وكيف يجعلون كلامهم الذي يتردد على ألسنتهم طريقاً إلى الخير المنشود ، فإن أكثر الناس لا ينقطع لهم كلام ، ولا تهدأ لألسنتهم حركة .

فإذا ذهبت تحصي ما قالوا وجدت جُلَّه اللغو الضائع أو الهزار الضار، وما لهذا ركب الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الألسنة في الأهواء .

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ١١٤

أدب الحديث :

وقد عني الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام وأسلوب أدائه ؛ لأن الكلام الصادر عن الإنسان ، يشير إلى حقيقة عقله ، وطبيعة خُلُقِه ،

فينبغي للمرء أن يُسائِل نفسه قبل أن يتحدث إلى الآخرين ، هل هناك ما يستدعي الكلام ؟ فإن وجد داعياً إليه تكلم ، وإلا فالصمت أولى به ، وإعراضه عن الكلام حيث لا محل له عبادة جليله جزيلة الأجر.

قال سيدنا عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه - : " والذي لا إله غيره ، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان " رواه الطبراني .

ومن نصائح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأبي ذر- رضي الله عنه - : **﴿ عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ . ﴾** رواه الإمام أحمد

أجلْ ، إن اللسان حبل مرخي في يد الشيطان يصرّف صاحبه كيف يشاء فإذا لم يملك الإنسان أمره ، كان فمه مدخلاً للنفايات التي تلوث قلبه وتضاعف فوقه حجب الغفلة ، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : **﴿ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ .﴾** رواه الإمام أحمد .

ترك الكلام فيما لا يعني المسلم ، مع البعد عن اللغو في الكلام :

وأول مراحل هذه الاستقامة أن ينفض يديه مما لا شأن له به ، وألا يقحم نفسه فيما لا يُسأل عنه فقد روى الترمذي عن أبي هريرة- رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : **﴿ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ . ﴾**

والبعد عن اللغو من أركان الفلاح ودلائل الكمال وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الإسلام المحكمة ، هما الصلاة والزكاة :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) ﴾ المؤمنون : ١ - ٤

وقال في وصف المؤمنين : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ القصص : ٥٥

وقد كره الإسلام اللغو ؛ لأنه يكره التفاهات وسفاسف الأمور ، ثم هو مضيعة للعمر في غير ما خُلِقَ الإنسان له من جد وإنتاج وعبادة لله تعالى.

وبقدر تنزه المسلم عن اللغو تكون درجته عند الله تعالى .

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه - قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ يَعْنِي رَجُلًا: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : **« أولَا تدْري فلَعلَّه تكلَّمَ فيمَا لَا يَعْنِيه، أوْ بَخِلَ بمَا لَا يَنقُصُهُ . »** الترغيب والترهيب .

واللاغي لضعف الصلة بين فكره ونطقه ، يرسل الكلام على عواهنه فربما قذف بكلمة سببت بواره ودمرت مستقبله .

قال الشاعر: " علي بن أبي طالب "

يَموتُ الفَتى مِن عَثرَةٍ بِلسانِهِ .·. وَلَيسَ يَموتُ المَرءُ مِن عَثرَةِ الرِّجلِ

فَعــثرَتُهُ مَن فيهِ تَرمي بِرَأسِهِ .·. وَعَــــــثرَتِه بِالرِّجلِ تَبرا عَلى مَهلِ

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : **« إنَّ الْعَبْدَ لَيَقُولُ الْكَلِمَةَ لا يَقُولُهَا إلا لِيُضْحِكَ بِهَا أَهْلَ الْمَجْلِسِ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَزِلُّ عَلَى لِسَانِهِ أَشَدَّ مَا يَزِلُّ عَلَى قَدَمَيْهِ . »** رواه البيهقي .

آثار طيب الكلام مع الأصدقاء والأعداء جميعًا :

فإذا تكلم المرء فليقل خيراً ، وليعوّد لسانه الجميل من القول فإن التعبير الحسن عما يجول في النفس أدب عال أدب الله - تعالى - به من

قبلنا من الأمم ، فهو من حقيقة الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل على عهد سيدنا موسى - عليه السلام - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣

والكلام الطيب العف يجمل مع الأصدقاء والأعداء جميعاً وله ثماره الطيبة.

فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم ويستديم صداقتهم ، ويمنع كيد الشيطان أن يقطع أوصالهم ويفسد ذات بينهم : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ الإسراء: ٥٣

وأما حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفئ نار خصومتهم ويكسر حدة غضبهم ، أو هو على الأقل يوقف تطور الشر واستطارة شرره : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤ أي : كأنه صديق قوي الصداقة . وقد سئل أنس بن مالك- رضي الله عنه - عن هذه الآية ما معناها ؟ فقال : هو الرجل يشتمه أخوه ، فيقول له : إن كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك .

أمثلة من عمل السلف بهذه الآية الكريمة :

وقد تطاول رجل على سيدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسين - رضي الله عنهما - فقال له : يا هذا ، إن كنت صادقاً فغفر الله ، لي وإن كانت كاذباً فغفر الله لك ، وكان عليه قميصه جديد فأعطاه إياه ، وأمر له بألف درهم ، فقال له الرجل : أشهد أنك من أبناء الأنبياء .

وجاء رجل إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ترجمان القرآن وحبر الأمة وعالمها الجليل : فسبه وتطاول عليه – فنظر ابن عباس إلى مولاه عكرمة وقال : يا عكرمة ، انظر هل للرجل من حاجة فنقضيها له ؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا وانصرف .

وأغلظ رجل لعمر بن عبد العزيز – وهو خليفة وأمير المؤمنين – في القول : ففكر عمر وأطرق مليّا ، ثم قال له : أردت أن يستفزني الشيطان بسيف السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا ، لا والله .

هكذا كان الأفاضل الشرفاء الأبرار من الناس لا ينطقون إلا بالكلام الطيب الذي أمر به القرآن الكريم في وصاياه .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَسَبَّ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ الْمَسْبُوبُ يَقُولُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **﴿ أَمَا إِنَّ مَلَكًا بَيْنَكُمَا يَذُبُّ عَنكَ كُلَّمَا يَشْتُمُكَ هَذَا، قَالَ لَهُ: بَلْ أَنتَ وَأَنتَ أَحَقُّ بِهِ، وَإِذَا قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: لَا بَلْ لَكَ أَنتَ، أنت أَحَقُّ بِهِ . ﴾** رواه أحمد . وذلك عملا بقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان : ٦٣

وروى أبو داود عن سعيد بن المسيّب قال : **﴿ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّه - ﷺ - جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَآذَاهُ فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ - : نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ . ﴾**

وهذا أمر لا ينبغي أن يكون ، فالمسلم الفاضل مطلوب منه أن يتحمل الأذى أكثر من ذلك حتى لا يدع الشر يسيطر على الموقف آخر الأمر.

وقد حدث أن وقف رجل من أولئك الجهال أمام بيت الرسول - ﷺ - يريد الدخول فرأى النبي - ﷺ - أن يحاسنه حتى يصرفه ولم يكن من ذلك بد ، فالحلم لجام السفيه ، ولو تركه يسكب ما في طبيعته الفظة لسمع منه ما تتنزه عنه أذناه .

فقد روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : **﴿ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّه - ﷺ - فَقَالَ: " ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ "، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلَامَ، قَالَ: " أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ . ﴾**

وهذا من حسن خلقه - ﷺ - وقد خدمه سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - عشر سنين حتى قال في ذلك : **﴿ خَدَمْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - عَشْرَ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَا غُلَامٌ لَيْسَ كُلُّ أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ أَكُونَ عَلَيْهِ، مَا قَالَ لِي فِيهَا: أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا، أَوْ: أَلَّا فَعَلْتَ هَذَا . ﴾** رواه أبو داود

ثواب الكلمة الطيبة :

أما ثواب الكلمة الطيبة التي تطيب قلب الإنسان وفيها نفع للنفس أو للغير في الدين أو الدنيا فإنها سبب للنجاة من النار يوم القيامة كما بين رسول الله -ﷺ- ففي الصحيحين من حديث عدي بن حاتم- رضي الله عنه - قال : **﴿ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: " اتَّقُوا النَّارَ "، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ . ﴾**

قال الحافظ ابن حجر في شرح المشكاة – : أي التي فيها نفع للنفس أو للغير، وظاهر أن المراد كون الكلمة النافعة لنفسه حيث وصفت بأنها طيبة نافعة له في دينه أو دنياه المستعين بها عليه .

وفي البخاري ومسلم أيضاً عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : **﴿ كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِه فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ . ﴾**

﴿ بابٌ ﴾

دعاء الإنسان لمن صنع معروفًا إليه أو إلى الناس كلهم أو بعضهم

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - **« أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ . »**

والوَضوء – بالفتح – ما يُتوضأ به – والخلاء: موضع قضاء الحاجة من بول أو غائط .

وقوله : " فوضعت له وَضوءًا " فهم ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يكن معه ماء وأنه يحتاج إليه ، فوضعه له بجواره من غير أن يشعر به - صلى الله عليه وآله وسلم -

وعند الإمام أحمد وابن حبان أن ميمونة خالته - رضي الله عنها - هي التي أخبرته بذلك ، وأن ذلك كان في بيتها ليلاً ، ولعل ذلك كان في الليلة التي بات ابن عباس في بيتها ؛ ليرى صلاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والتي وقف فيها خلف النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في صلاة الليل ، فقال له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : ما بالك ؟ أجعلك حذائي – أي : بجواري – فتخلفني – أي : فتقف خلفي ؟ فقال : لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فدعا له أن يزيده الله فهمًا وعلمًا .

وقوله : " اللهم فقهه في الدين " في رواية للبخاري : ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَقَالَ: **« اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ »** وعند النسائي والترمذي أنه - رضي الله عنهما - قال : **« دعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أنْ يُؤْتِيَنِي اللَّهُ الْحِكْمَةَ مَرَّتَيْنِ .»** وفي رواية لابن ماجه : **« اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ . »**

معنى الفقه والحكمة :

الفقه : هو الفهم قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾ النساء: ٧٨ يقال : فَقُه بفتح الفاء وضم القاف إذا صار الفقه له سجية ، وفقَه بفتح القاف إذا سبق غيره إلى الفهم ، وفقِه بكسر القاف إذا فهم ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ** ﴾ آل عمران: ٧٩ قال: كونوا حكماء فقهاء ، ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، ويقال : لا يقال للعالم : رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً بعلمه .

واختلف في المراد بالحكمة في دعوة ابن عباس ، فقيل : القرآن ، وهو المراد بالكتاب الوارد في بعض الروايات ، أي فهم المراد من الآيات، وقيل : العمل بالقرآن ، وقيل : السنة ، وقيل : الإصابة في القول ، وقيل: الخشية ، وقيل : الفهم عن الله – تعالى- وقيل : العقل ، وقيل : ما يشهد العقل بصحته ، وقيل : نور يفرق بين الإلهام والوسواس وقيل سرعة الإجابة مع الإصابة .

ففي هذا الحديث استحباب الدعاء لمن عمل خيراً مع الإنسان ، وإجابة دعاء النبي -ﷺ- لابن عباس ، فقد كان -رضي الله عنهما- في الفقه بالمحل الأعلى .

وقد لقبه الصحابة- رضي الله عنهم - بحبر الأمة ، وقال عنه الفاروق- رضي الله عنه - : لقد أوتي هذا الفتى قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً.

ووصفه سيدنا سعد بن أبي وقاص فقال : ما رأيت أحدًا أَحدَّ فهمًا، ولا أكبر لبًّا ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ، وحوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فيتحدث ابن عباس ولا يجاوز عمر قوله .

دعاؤه -ﷺ- لأبي قتادة- رضي الله عنه - :

روى مسلم في صحيحه عن أبي قتادة- رضي الله عنه - قال : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: **« إِنكُمْ تسِيرُونَ عَشِيَّتكُمْ وَلَيْلَتكُمْ، وَتأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا، فَانطَلَقَ النَّاسُ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . »** قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَسِيرُ، حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ، وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ: فَنَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ، حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ ، مَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ ، قَالَ : فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ ، حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ : ثُمَّ سَارَ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ، مَالَ مَيْلَةً هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْمَيْلَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: **مَنْ هَذَا؟** قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ، قَالَ: **مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّي؟** قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ ، قَالَ: **« حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ . »**

معاني الكلمات الغريبة :

قوله : " ابهارّ الليل" أي : انتصف ، فدعمته أي : أسندته وأقمت ميله برفق وصرت تحته كالدعامة . قوله : (حتى تَهَوَّرَ الليل) أي : ذهب أكثره ، مأخوذ من تهور البناء أي : انهدم . وقوله : (حتى كاد ينجفل) أي : حتى كاد يسقط عن راحلته .

وقوله : (حفظك الله بما حفظت به نبيه) قال النووي : أي بسبب حفظك نبيه -ﷺ- اهـ فـ ما علي هذا مصدرية وهذا غير ظاهر ، لأن ما المصدرية لا يعود عليها ضمير (به) والأولى جعلها موصولة ، مدلولها الحب والحرص ، أي : بسبب الحب والحرص الذي حفظت نبيه -ﷺ- .

متى كانت هذه القصة ؟

كانت هذه القصة حينما قفل رسول الله -ﷺ- هو وأصحابه من غزوة خيبر ، وفي الصحراء حيث لا ماء ، فقال رسول الله -ﷺ- لأصحابه إنكم ستسيرون من أول ليلتكم هذه إلى آخرها دون أن تصلوا إلى الماء وتأتون الماء غدًا إن شاء الله ، وعلم الناس أن بينهم وبين الماء مسيرة ليلة وبعض يوم ، فضربوا أكباد الإبل يتسابقون نحو الماء ، لا ينتظر أحدٌ أحدًا ، حتى لم يبق مع النبي -ﷺ- سوى سبعة نفر وبدأ النعاس - وهو مقدم النوم - يدخل عيني رسول الله -ﷺ- وهو على راحلته فيميل حتى كاد يسقط ، فيسنده أبو قتادة : حتى يعتدل وظل أبو قتادة يسير بجنبه يحرسه ، فلما مال -ﷺ- ميلة شديدة وعدله أبو قتادة رفع -ﷺ- رأسه وقال : - والليل مظلم - من هذا الذي يساعدني ؟ قال أبو قتادة : أنا ، فقال

رسول الله -ﷺ- حفظك الله بما حفظت نبيه -ﷺ- فيؤخذ من هذا استحباب الدعاء لمن صنع معروفًا .

دعاء عام لمن صُنع إليه معروف :

روى الترمذي عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : **﴿ مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ . ﴾** قال الترمذي حديث حسن صحيح . ورواه النسائي وابن حبان .

وروى الحافظ ابن حجر بسنده عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قَالَ رسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : **﴿ إذا قَالَ الرَّجُلُ لأخِيهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ . ﴾** قال الحافظ بعد تخريجه : هذا حديث غريب أخرجه عبدالرازق في المصنف وفي سنده موسى بن عبيدة ضعفوه . ولكن يتقوى بحديث أسامة بن زيد السابق ذكره .

وأخرج ابن حبان في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : **﴿ مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ﴾** قال الحافظ ابن حجر هذا حديث حسن أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داوود.

وروى أبو داوود وابن حبان عن أبي هريرة- رضي الله عنه - والترمذي وحسنه عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال : **﴿ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ .﴾**

وجاء في معنى هذه الأحاديث عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **﴿ مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ ، وَمَنْ اسْتَجَارَكُمْ فَأَجِيرُوهُ . ﴾** أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائي وابن حبان.

معنى الجزاء بالخير :

ومعنى قوله : " جزاك الله خيراً " أي : تولى الكريم جزاءك بالخير، والكريم إذا تولى الجزاء دل ذلك على سعة العطاء ، فمن دعا بذلك لأخيه فقد أبلغ في الثناء ؛ لأن القصد من الثناء عود أمر ملائم لصاحب الجميل من ذكره بالخير.

وهذا اللفظ لكون السؤال فيه أمرًا ملائمًا له على الدوام ، أبلغ في المراد والمرام ، وقيل : بالغ في الثناء حيث أظهر عجزه عن جزائه وأحاله على ربه .

جزاء القرض الحسن :

روى النسائي وابن ماجه وابن السني عن عبد الله بن أبي ربيعة الصحابي- رضي الله عنه - قال: اسْتَقْرَضَ مِنِّي النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَجَاءَهُ مَالٌ، فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: **﴿ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ: الْحَمْدُ، وَالأَدَاءُ . ﴾**

أي : جزاء القرض الحمد والثناء ؛ لأنه صنيع جميل ومعروف فجزاؤه الدعاء ، والأداء أي : أداء ماله الذي أقرضه وعدم المماطلة ، لأنها ظلم ، ومعه الحمد شكرًا لما صنعه من الجميل بقرضه.

الدعاء لمن صنع معروفًا إلى الناس كلهم :

روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبدالله البجلي- رضي الله عنه - قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : **«أَلَا تريحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ ؟ »** فَقُلْتُ: بَلَى، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ : **« اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا »**، قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ، قَالَ: وَكَانَ ذُو الْخَلَصَةِ بَيْتًا بِالْيَمَنِ لِخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ، فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ، يُقَالُ لَهُ: الْكَعْبَةُ، قَالَ: فَأَتَاهَا، فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ وَكَسَرَهَا، قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- هَا هُنَا، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّهَا، وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلًا مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يُبَشِّرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، قَالَ: **« فَبَرَّكَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ .»**

توضيح وبيان:

قوله : لخثعم وهي قبيلة ينسبون إلى خثعم بن أنمار بن إراش وسمّوا البيت كعبة مضاهاة للبيت الحرام ، وفي مسلم : كان يقال لها الكعبة اليمانية والكعبة الشامية ، ويقال له : ذو الخلصة بفتح أوليه والخَلَصة في اللغة نبت طيب الرائحة يتعلق بالشجر له حب كحب الثعلب.

وقوله : أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ ؟ وسبب هذا المقال منه - ﷺ - كراهة أن يعبد غير الله تعالى.

ويؤخذ من هذا استحباب الدعاء بالبركة وغيرها لمن خدم المسلمين .

ويروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - أَتَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: **﴿ اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ . ﴾**

والذين أتى عليهم - ﷺ - وهم يسقون من ماء زمزم وينزحون منها الماء ويصبونه في الأحواض ليشرب منها الناس ، هم العباس وذووه من آل عبد المطلب ، وكانوا لا يميزون الناس بل يسقون جميعهم لا يميزون شريفاً عن مشروف . ومن ثم قال لهم رسول الله - ﷺ - : "اعملوا فإنكم على عمل صالح" لأن فيه نفعاً عامًا للمسلمين ، لا سيما بهذا الشراب الذي به حياة النفوس . فماء زمزم لما شرب له.

مكافأة المهدِي بمثل الدعاء الذي دعا به المهدَى له:

يستحب مكافاة المهدِي بالدعاء للمهدَى له إذا دعا عند الهدية ، فقد روى ابن السني عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شَاةٌ ، فَقَالَ : **﴿ اقْسِمِيهَا ﴾** قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَتِ الْخَادِمَ، قَالَتْ: مَا قَالُوا لَكَ؟ تَقُولُ : مَا يَقُولُونَ، يَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: **وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ، تَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا .** "

والمستفاد من هذا أن المهدِي يرد بمثل ما دعا المُهدَى له ليكون الدعاء في مقابل الدعاء ويبقى الأجر الكامل للمُهدِي في هديته ، وإلا

فالظاهر أن دعاء المهدَى له وسكوت المهدِي لا يذهب أجر هديته ، وكذلك الصدقة.

ما يقال لمن أزال عنه أذى : روى ابن السني عن سعيد بن المسيِّب عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أَنَّهُ تَنَاوَلَ مِنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم – الأَذَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : **﴿ مَسَحَ اللَّهُ عَنكَ يَا أَبَا أَيُوبَ مَا تكْرَهُ . ﴾**

وفي رواية للحاكم في المستدرك : أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - شَيْئًا، فَقَالَ: **﴿ لا يَكُنْ بِكَ السُّوءُ يَا أَبَا أَيُوبَ . ﴾**

قال ابن علان : يحتمل أن تكون هي القصة الأولى لاتحاد المخرج ، ولعله دعا بكل من الدعائين فروى سعيد أحدهما وسعد الآخر ، ويحتمل وهو الأقرب تعددها ا.هـ لابن علان الصديقي ، وهذا من قبيل ما سبق في حديث (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه) وفي رواية للطبراني في المعجم الكبير: كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَسَقَطَتْ عَلَى لِحْيَتِهِ رِيشَةٌ فَابْتَدَرَ إِلَيْهِ أَبُو أَيُّوبَ فَأَخَذَهَا مِنْ لِحْيَتِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - :**﴿نزعَ اللَّهُ عَنكَ مَا تكْرَهُ . ﴾**

ومن ثم كان السلف الصالح يعملون بهذه السنة الحميدة ، قال الحسن البصري - رحمه الله - : لو أن انساناً أخذ من رأسي شيئا قلت : صرف الله عنك السوء .

وقوله :" لا يكن بك السوء" أي لا يوجد بك السوء لتنحيتك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما نحيت ، ولا : دعائية ، والفعل بعدها مجزوم . وتكرار الدعاء اهتماماً بشأن أبي أيوب ، والسوء ما يسوء الإنسان في نفسه أو أهله أو ماله ، فهو دعاء له بصرف كل سوء ، بناء على أن "ال" في السوء

للاستغراق ، أو لصرف حقيقة السوء المنتفي بانتفائها كل ما يطلق عليه أنه سوء ، بناء على أن "ال" للجنس ، والله أعلم.

كما روى ابن السني عن عبدالله بن بكر الباهلي قال: أخذ عمر- رضي الله عنه - من لحية رجل أو رأسه شيئاً ، فقال الرجل : صرف الله عنك السوء ، فقال عمر- رضي الله عنه - : صُرِف عنا السوءُ منذ أسلمنا ، ولكن إذا أخِذَ عنك شيء فقل : "أخذت يداك خيرًا "

فقول الرجل : "صرف الله عنك السوء" أي : الكفر والعصيان الذي هو سوء الحال والمآل . وأما سائر ما يراه الإنسان من الابتلاء والامتحان في النفس والأهل أو المال فليس من السوء ، لأنه من نعمة المولى بعبده ، إذ يترقى به إلى المنازل العلا إن صبر على البلاء ، فإن رضي به كان أسنى مقامًا وأعلى ، إنما السوء ما يؤول بالعبد إلى غضب الجبار وهو الإشراك بالله والعياذ بالله ، ومعاصيه ، وقد صرف ذلك عن المؤمنين بالإيمان ، فالدعاء به تحصيل للحاصل .

ومعنى قوله : " أخذت يداك خيراً " أي ثواباً ، لتنحية الأذى عن المؤمنين . والله أعلم . ا.هـ من شرح ابن علان الصديقي على الأذكار.

[باب]

ما يقوله من دُعِيَ إلى حكم الله تعالى

قال الإمام النووي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

ينبغي لمن قال له غيره : بيني وبينك كتاب الله أو سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأقوال علماء المسلمين أو نحو ذلك ، أو قال : اذهب معي إلى حاكم المسلمين أو المفتي لفصل الخصومة التي بيننا وما أشبه ذلك أن يقول : " سمعنا وأطعنا " أو " سمعاً وطاعة " أو " نعم وكرامةً " أو شبه ذلك قال الله – تعالى - : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٥١ ا.هـ من كتاب الأذكار

توضيح وبيان:

شعار المؤمن دائماً في كل أحواله حين يدعى إلى التحاكم إلى ما أنزل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أن يقول : " سمعنا وأطعنا " أو " سمعاً وطاعة " أو " نعم وكرامة " وهذا من دلائل الإيمان وكمال الانقياد والإذعان للحق الذي دُعي إليه . وهذا على عكس ما عليه أهل النفاق والعصيان فإن شعارهم " سمعنا وعصينا " كما كان عليه اليهود من قبل : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا

﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ النساء: ٤٦ وقد قال الله - سبحانه وتعالى - في ذم من يعرض عن حكم الله - عز وجل - على وجه العموم من اليهود والمنافقين والمدّعين للإسلام : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)﴾ النساء: ٦٠ - ٦١

سبب نزول هذه الآيات :

قال الشيخ الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : وقد اختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية اختلافاً متقارباً .

فعن قتادة والشعبي أن يهودياً اختصم مع منافق اسمه بشر ، فدعا اليهودي المنافق إلى التحاكم عند النبي - صلى الله عليه وسلم - لعلمه أنه لا يأخذ الرشوة ولا يجور في الحكم ، ودعا المنافق إلى التحاكم عند كاهن من جهينة كان بالمدينة .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن اليهودي دعا المنافق إلى التحاكم عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن المنافق دعا إلى كعب بن الأشرف ، فأبى اليهودي وانصرفا معًا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقضى لليهودي فلما خرجا قال المنافق : لا أرضي ، انطلق بنا إلى أبي بكر ، فحكم أبو بكر - رضي الله عنه - بمثل حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال المنافق : انطلق بنا إلى عمر – فلما

بلغ عمر- رضي الله عنه - وأخبره اليهودي الخبر وصدقه المنافق قال عمر- رضي الله عنه - رويدكما حتى أخرج إليكما ، فدخل وأخذ سيفه ثم ضرب به المنافق حتى بَردَ أي : مات وقال : هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت الآية ، وقال جبريل : إن عمر فرق بين الحق والباطل ، فلقبه النبي - صلى الله عليه وسلم - : " الفاروق " وهناك روايات أخرى تؤدي هذه المعنى فلتراجع في تفسير التحرير والتنوير في تفسير الآية ٦٧ من سورة النساء .

آية سورة النور :

ومن ثم وصف الله – عزوجل – المنافقين ومن على شاكلتهم من المعرضين عن حكم الله- عز وجل - : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ النور: ٤٧ - ٥١

وهذا إخبار عن نفر من المنافقين كانت حلت بهم خصومات فأبوا حكم النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يحكم عليهم ، أو بعد ما حكم عليهم فلم يُرضِهم حكمه – كما ورد في سبب نزول آية سورة النساء . وقيل في سبب نزول

هذه الآية : إن أحد المنافقين اسمه المغيرة بن وائل من الأوس من بني أمية بن زيد الأوسي تخاصم مع علي بن أبي طالب- رضي الله عنه - في أرض اقتسماها ، ثم كره المغيرة القسم الذي أخذه فرام نقض القسمة وأبى على نقضها ، ودعا إلى الحكومة لدى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : المغيرة : أما محمد فلست آتيه لأنه يبغضني ، وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت هذه الآية . ا.هـ . من التحرير والتنوير .

وقال الحافظ ابن كثير: وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء بن أبي ميمونة عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : **« مَنْ دُعِيَ إِلَى سُلْطَانٍ فَلَمْ يُجِبْ، فَهُوَ ظَالِمٌ، لا حَقَّ لَهُ . »**

وذلك لأن المنافق يدور مع هواه حيث دارولا يدور مع الحق حيث دار.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا مبارك حدثنا الحسين . قال : كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدُعِيَ إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو محق أذعن ، وعلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سيقضي له بالحق ، وإذا أراد أن يَظلم فدُعي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أعرض وقال : انطلق إلى فلان . فأنزل الله هذه الآية فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : **« مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَيْءٌ يُدْعَى إِلَى حَكَمٍ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ فَأَبَى أَنْ يُجِيبَ فَهُوَ ظَالِمٌ لا حَقَّ لَهُ . »**

موقف المؤمنين من التحاكم إلى ما أنزل الله تعالى :

ثم أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن صفة المؤمنين المستجيبين لله - سبحانه وتعالى - ورسوله -صلى الله عليه وسلم- الذين لا يبغون حكماً سوى كتاب الله – عزوجل – وسنة

رسوله - ﷺ - فقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٥١

روى الحافظ ابن كثير في تفسيره عن قتادة أنه قال في هذه الآية : " أن يقولوا سمعنا وأطعنا " ذكر لنا عبادة بن الصامت- رضي الله عنه - وكان عقبيًا – أي ممن شهد العقبة وبدريًّا – ممن شهد بدرًا – أحد نقباء الأنصار – أنه لما حضره الموت ، قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وماذا لك ؟ قال : بلى ، قال : فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ، ومنشطِكَ ومَكْرَهِك ، وأثرة عليك ، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل ، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بَوَاحا – أي صراحة – فما أُمِرتَ به من شيء يخالف كتاب الله – تعالى – فاتبع كتاب الله – عزوجل - .

وقد قال الله - سبحانه وتعالى - رداً على اليهود في قولهم : " سمعنا وعصينا " :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ النساء: ٤٦

جزاء من رضي بحكم الله تعالى :

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ النور: ٥٢

بينت هذه الآية صفات المؤمنين الطائعين الفائزين في الدنيا والآخرة ؛ لأن الطاعة امتثال الأوامرواجتناب النواهي ، والخشية الخوف

، وهي تتعلق بالخصوص بما عسى أن يكون قد فرط فيه من التكاليف على أنها تعم التقصير كله .

والتقوى : الحذر من مخالفة التكاليف في المستقبل ، فجمعت الآية أسباب الفوز في الآخرة وكذلك في الدنيا ، وصيغة الحصر للتعريض بالذين أعرضوا إذا دعوا إلى الله ورسوله - ﷺ -

ماذا يقول من قيل له : اتق الله ؟

قال الإمام النووي - رحمه الله - : ينبغي لمن خاصمه غيره أو نازعه في أمر فقال له : اتق الله - سبحانه وتعالى - ، أو خفِ الله - سبحانه وتعالى - ، أو راقب الله - سبحانه وتعالى - ، أو اعلم أن الله تعالى مطلع عليك ، أو اعلم أن ما تقوله يكتب عليك وتحاسب عليه ، أو قال له : قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ آل عمران : ٣٠ أو ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ البقرة : ٢٨١ أو نحو ذلك من الآيات وما أشبه ذلك من الألفاظ أن يتأدب ويقول : " سمعاً وطاعة " أو أسأل الله التوفيق لذلك ، أو أسأل الله الكريم لطفه ، ثم يتلطف في مخاطبة من قال له ذلك ، وليحذر كل الحذر من تساهله عن ذلك في عباراته فإن كثيراً من الناس يتكلمون عن ذلك بما لا يليق ، وربما تكلم بعضهم بما يكون كفراً .

وكذلك ينبغي إذا قال له صاحبه : هذا الذي فعلته خلافُ حديث رسول الله - ﷺ - أو نحو ذلك ألاّ يقول : لا ألتزم الحديث أو لا أعمل بالحديث أو نحو ذلك من العبارات المستبشعة ، وإن كان الحديث متروك

الظاهر لتخصيص أو تأويل أو نحو ذلك ، بل يقول عند ذلك : هذا الحديث مخصوص أو متأول أو متروك الظاهر بالإجماع أو شبه ذلك . ا . هـ .

فليحذر المسلم من هذه الألفاظ التي تدل على عدم الانقياد، وليتقيد بما قاله أهل العلم حتى لا يقع في المحظور الذي هو من أكبر الذنوب .

قال السيوطي في كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل) : قال ابن مسعود- رضي الله عنه - : " من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه : اتق الله فيقول : عليك بنفسك " أخرجه ابن المنذر .

هذا ونسأل الله – تعالى - التوفيق وأن يرزقنا السمع والطاعة لله - سبحانه وتعالى - ولرسوله - صلى الله عليه وآله وسلم –

باب

الإعراض عن الجاهلين

من أخلاق رسول الله -ﷺ- الإعراض عن الجاهلين والصبر على آذاهم وعدم مؤاخذتهم بما يقولون ، بل الإحسان إليهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩ قال أبو حيان : " هذا خطاب لرسول الله -ﷺ- ويعم جميع أمته ، وهو أمر بجميع مكارم الأخلاق ، وقد أمر بذلك رسول الله -ﷺ- بقوله : « **يسروا ولا تعسروا .** » رواه الشيخان .

وقال حاتم الطائي :

خُذي العَفوَ مِنّي تَستَديمي مَوَدَّتي ∴ وَلا تَنطِقي في سَورَتي حينَ أَغضَبُ

وقال ابن النحوي في شرح البخاري : قال مجاهد فيما ذكره الطبري : خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحبيس عليهم ، وقال الراغب في المفردات : العفو أي ما يسهل قصده وتناوله ، وقيل : معناها : تعاط العفو عن الناس . وعفوت عنه : قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه ، العفو: القصد لتناول الشيء وعفت الدار كأنها قصدتْ هي البلى .

والمعنى : خذ اليُسْر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ، أو خذ من الناس في أخلاقهم وأموالهم ومعاشرتهم ما سهل وتيسر مما لا يشق عليهم لئلا ينفروا .

وعن سيدنا جعفر الصادق- ﷺ - : أمر الله نبيه -ﷺ- بمكارم الأخلاق " وعن ابن عباس - ﷺ - قال : خذ العفو من أموال المسلمين وهو الفضل . قال ابن جرير الطبري : أمر بذلك قبل نزول الزكاة ، أي : أن الصدقة كانت تؤخذ قبل نزول الزكاة ثم نسخت بها . والعرف المعروف كما ذكره البخاري ، ومنه صلة الرحم والعفو عمن ظلم .

وأخرج البخاري عن ابن الزبير -ﷺ- قال : ما أنزل الله ذلك إلا في أخلاق الناس ، أي : أمر الله نبيه -ﷺ- أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

قال البخاري : وأولى هذه الأقوال قول ابن الزبير ، وما بعدها يدل له :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ ﴾ الأعراف: ٢٠٠

وقد أخرج الطبري في تفسيره عند هذه الآية أنها لما نزلت سأل رسول الله -ﷺ- جبريل عنها ، فقال : لا أدري حتى أسأل ، فعرج ثم رجع ، فقال : **« يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ -عز وجل- يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . »**

وقوله - سبحانه وتعالى - : { وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } قال ابن الفرس : أي : المعروف من أخلاق الناس .

وقوله - سبحانه وتعالى - : { وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} أي : عن أبي جهل وأصحابه ومن على شاكلتهم ممن كانوا يؤذونه -ﷺ- بالقول أو الفعل .

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه - قال : **لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: « فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ .» قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ، لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا**

ويؤخذ من هذا الحديث مزيد صفحه وحلمه وإعراضه عن جهل الجاهلين وعدم انتصاره لحق نفسه - صلى الله عليه وآله وسلم - وصدق الله - سبحانه وتعالى - حيث وصفه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤ أي : علوت عرش الأخلاق وتربعت عليه وكان فضل الله عليك عظيما .

اقتداء الصحابة بخلق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :

روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ، وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: هِي يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ لِنَبِيِّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ

وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ

وقوله : " هي يا ابن الخطاب " كلمة تهديد .

ومعنى : " لا تعطينا الجزل " قال ابن النحوي : ما تجزل لنا من العطايا ، وأصل الجزل ما عظم من الحطب ، أي : لا تعطينا عطايا كثيرة.

وهذا الرجل الغليظ الجافي تطاول على سيدنا عمر- رضي الله عنه - بهذا الخطاب الشديد فأراد أن يوقع به شيئًا من العقوبة لجفائه وسوء أدبه ، فلما ذكّره الحرّبن قيس بقول الله - سبحانه وتعالى - تعالى لنبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ .. } الآية أي : وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " لم يتجاوز عمر- رضي الله عنه - العمل بالآية وقد كان وقافا عند كتاب الله - تعالى - يعمل به في نفسه وأهله وولده .

وهذا الخلق القويم الكريم وصف الله به المؤمنين فقال : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ القصص : ٥٥ وفي وصف عباد الرحمن يقول الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان : ٦٣

والمراد من الآيتين أن المؤمن مطلوب منه التخلق بالصفح الجميل وبالإعراض عن الجاهلين من المؤمنين عند صدور إساءة أدب من أحدٍ منهم معه كما وقع له - صلى الله عليه وآله وسلم - من صبره على أذى جفاة الأعراب

وكفار قريش وعفوه عما صدر منهم من سيء الآداب ، وقد قال الله - سبحانه وتعالى - له : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ النجم: ٢٩ وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ الحجر: ٨٥ ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ الزخرف: ٨٩ والصفح : ترك التثريب – وهو اللوم – وهو أبلغ من العفو ، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح ، وصفحت عنه أي أوليته مني صفحة جميلة معرضا عن ذنبه .

أثر الصفح والعفو والإعراض عن الجاهلين :

وهذا موقف عملي يحمل فيضاً من سماحة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعفوه وإعراضه عمن جهلوا قدره ، وإرشادهم لهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة .

روى الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية قال : **ذهب فضالة بن عمير الليثي قاصداً قتل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أثناء طوافه بالبيت ، فلما دنا منه قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ أفُضالةُ ؟! ﴾ قال : نعم فضالة يا رسول الله ، قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ ﴾ قال : لا شيء كنت أذكر الله ، فضحك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم قال : ﴿ استغفر الله ﴾ ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فما كان من فضالة إلا أن قال : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما مِنْ خلق الله أحد أحبَّ إليّ منه .**

وأسلم فضالة بهذا الصفح الكريم وزالت من قلبه العداوة وحلت محلها محبة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم تأمل – وفقك الله لاتباع السنة - في هذا الموقف النبوي الكريم ، كيف قابل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رغبة القتل من فضالة بالابتسامة الحانية ، والكلمة الطيبة والدعاء ، والمسح باليد الحانية التي كانت بلسم الشفاء الذي سكن به قلب فضالة ، وتحول الموقف من العداوة إلى المحبة ومن الكفر إلى الإيمان ، وصدق الله العظيم القائل :

[٦١]

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾
فصلت: ٣٤

فاللهم خلّقنا بخلق رسول الله -ﷺ- وأدبنا بأدبه وأكرمنا بمرافقته في الفردوس الأعلى إنك سميع مجيب.

[٦٢]

« باب »

وعظ الإنسان من هو أجَلُّ منه أداءً لحق النصيحة لعامة المؤمنين

قال الإمام النووي - رحمه الله - : اعلم أن هذا الباب مما تتأكد فيه العناية به ، فيجب على الإنسان النصيحة والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل صغير وكبير إذا لم يغلب على ظنه ترتب مفسدة على وعظه ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل ١٢٥

ومعنى النصح : ذكر ما فيه الخير للمنصوح له في الدارين ، فإن تعارضا راعى مصلحة الدين لدوام نفعه وأشار به وقدمه على ما يقتضي صلاح الدنيا .

وقوله : " إذا لم يغلب على ظنه ترتب مفسدة على وعظه " وإلا ترك الوعظ حينئذ دفعاً لأعظم المفسدتين بارتكاب أخفهما .

وذلك كما إذا رأى إنساناً يظلم رجلاً محترما ويأخذ ماله ، ويعلم أنه إذا نصحه أو وعظه أداه جهله إلى قتل ذلك المظلوم أو وقع في مكفّر من قول أو فعل ، فيترك الوعظ والتذكير حينئذ دفعاً لأعظم المفسدتين .

والمراد بالحكمة في الآية قيل : القرآن ، وقيل : الفقه ، وقيل: النبوة .

والموعظة الحسنة قيل: مواعظ القرآن ، وقيل : الأدب الجميل الذي يعرفونه كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - .

وقوله تعالى : { وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } قيل : بالقرآن ، وقيل: بلا إله إلا الله ، كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وقيل : جادلهم غير فظ ولا غليظ ، وليّن لهم جانبك .

وجه مناسبة الآية لهذا الباب :

ووجه مناسبة الآية للباب أنه تعالى أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بدعاء الخلق إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأمته مأمورون بما أمره به ، مقتدون به فيما لم يقم الدليل على اختصاصه به - صلى الله عليه وسلم - وقد قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١

الدليل من السنة على وعظ الأكابر :

قال الإمام النووي : وأما الأحاديث بنحو ما ذكرنا فأكثر من أن تحصر . اهـ أي إن الأحاديث المشتملة على عرض المفضول على الإمام ما بدا له وظهر له صوابه فأكثر من أن تحصر.

من ذلك قول عمر- رضي الله عنه - في حديث أبي هريرة عند الإمام مسلم لما أعطى - صلى الله عليه وسلم - لأبي هريرة- رضي الله عنه - نعلين وقال له : **« اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط – أي البستان – يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة » ... فكان أول من لقي عمر- رضي الله عنه - فأخبره فذهب عمر إلى**

رسول الله - ﷺ - وقال : لا تفعل يا رسول الله فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ، قال رسول الله - ﷺ - : « فخلهم . » اهـ الحديث باختصار .

ويؤخذ من هذا إشارة أهل الفضل والوزراء على الإمام وإن لم يستشرهم فإن الإمام إذا رأى شيئاً ورأى بعض أتباعه خلافه فإنه ينبغي للتابع أن يعرض على المتبوع لينظر فيه وهذا من باب النصيحة لمن هو أجل منه .

ومن ذلك قصة السيدة أم سلمة - رضي الله عنها - مع رسول الله - ﷺ - في قضية صلح الحديبية ، وذلك لما فرغ رسول الله - ﷺ - من قضية كتابة الصلح وقال لأصحابه : **« قوموا فانحروا ثم احلقوا » .. حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل رسول الله - ﷺ - على أم سلمة - رضي الله عنها - فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة ، حتى تنحر بدْنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدْنه ودعا حالقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا بدنهم ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمًّا** اهـ أي من شدة الازدحام والمسارعة والحديث رواه مسلم في صحيحه .

ومن ذلك : **لما أذن - ﷺ - لبعض الصحابة أن ينحروا ظهرهم – أي إبلهم التي يركبون عليها – لمجاعة أصابتهم ، فقال : يا رسول الله إذا فعلوا ذلك علام يركبون ؟ ثم أشار الصحابي بأن يدعو - ﷺ - بأزواد القوم – يعني ما معهم من الطعام – ويدعو عليها بالبركة ففعل ...** الحديث عند الإمام مسلم .

وقد ورد من ذلك في صحيح السنة والسيرة في غزوة بدر: **لما نزل رسول الله - ﷺ - عند أدنى ماء من مياه بدر، قال الحباب بن المنذر وقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ، أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال رسول الله - ﷺ - : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة »**

قال يا رسول اللّه : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض يا رسول اللّه بالناس حتى نأتي أدنى ماءِ من القوم – أي جيش المشركين – فننزله ونغوّر – أي نخرّب – ما وراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فأخذ النبي -ﷺ- برأيه ونصيحته وفعل ما أشار به عليه الحباب- رضي الله عنه - .

وهذا يصور مثلاً من حياة رسول الله -ﷺ- مع أصحابه حيث نزل على رأي واحد منهم في أخطر القضايا .

كما نلحظ عظمة التربية النبوية التي سرت في شخص الحباب- رضي الله عنه - فجعلته يتأدب أمام النبي -ﷺ- فتقدم من غير أن يطلب رأيه ليعرض الخطة التي لديه ، لكن كان هذا بعد السؤال العظيم الذي قدمه بين يدي رسول الله -ﷺ- هل هذا المنزل كان بوحي أم بالرأي والمشورة ؟ فلما اطمأن إلى أن ذلك من باب الرأي والمشورة أبدى نصيحته ومشورته فقبلها رسول الله -ﷺ- وعمل بها .

ما ورد عن الصحابة - رضي الله عنهم - في هذا الشأن :

أما ما ورد عن الصحابة - رضي الله عنهم - في هذا الشأن فشيء كثير جدًّا .

فقد رجع سيدنا عمر- رضي الله عنه - عن المغالاة في الصداق حين خطب، وقال : لا تَغْلُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - كَانَ أَوْلاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ -ﷺ- مَا زَوَّجَ ثَيِّبًا مِنْ بَنَاتِهِ، وَلا تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ بِأَفْضَلَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً " فقالت له امرأة : إن الله - سبحانه وتعالى - تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ النساء: ٢٠ فرجع وقال : كل الناس أفقه منك يا عمر، وهذا على سبيل التواضع وهضم النفس .

كما رجع- رضي الله عنه - عما أراد من رجم تلك المرأة التي جاءت بالولد لستة أشهر، فقال له علي بن أبي طالب- رضي الله عنه - إن الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ الأحقاف: ١٥ ، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ البقرة: ٢٣٣، والباقي من الثلاثين ستة أشهر وهي زمن الحمل، أي أقل مدته، فرجع الفاروق- رضي الله عنه - عما أراد.

وقد سارعلى هذا المنهج السلف الصالح فكان الواحد منهم يدخل على الأمراء والسلاطين فيعظهم ويذكرهم بالله - سبحانه وتعالى - كان أبو جعفر المنصور – الخليفة العباسي – قوي الشخصية يهابه الناس جميعًا، دخل عليه الأوزاعي – إمام أهل الشام – فقال له: عظْني، فقال الأوازعي : يا أمير المؤمنين إن الله هو الحق المبين، ومن كره الحق فقد كره الله تعالى. يا أمير المؤمنين إن الملك لا يدوم لأحد، وإنما الملك لله وحده، ولو دام لأحد ما وصل إليك، واعلم أن أعز الناس عند الله التقاة، فمن طلب العز بطاعة الله رفعه الله تعالى وأعزه، ومن طلبه بمعصيته وضعه الله تعالى وأذله.

فلما انتهى الأوزاعي من موعظته أمر له أبو جعفر المنصور بمال فاعتذر الأوزاعي عن قبوله، وقال: يا أمير المؤمنين ... ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا فأحرم ثوابها وأقلِّل نفعها وما دام أمير المؤمنين قائماً فينا بالعدل، فنحن في خير الله ثم في خيره.

الحياء في إسداء النصيحة للكبار خَوَرٌ وضعف :

قال الإمام النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " وأما ما يفعله كثير من الناس من إهمال ذلك في حق كبار المراتب ، وتوهمهم أن ذلك حياء صريح ، فإن ذلك ليس بحياء ، وإنما خورٌ ومهانة وضعف وعجز ، فإن الحياء خير كله ، والحياء لا يأتي إلا بخير وهذا يأتي بشر ، فليس بحياء ، وإنما الحياء عند العلماء الربانيين والأئمة المحققين : خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ."

يعني أن الحياء الذي لا يأتي إلا بخير هو الذي يبعث على ترك كل قبيح من فعل منهي عنه ولو على سبيل الكراهة أو ترك مأمور به ولو على سبيل الندب ، كما يمنع من التقصير في حق ذي الحق كما ورد عند البخاري وغيره : " **قَامَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا . ﴾**

[٦٨]

﴿ بابٌ ﴾

ما يقوله الرجل المقتدَى به إذا فعل شيئا في ظاهره مخالفة للصواب مع أنه صواب

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : " اعلم أنه يستحب للعالِمِ والمعلّم والقاضي والمفتي والشيخ المربي وغيرهم ممن يقتدى به ويؤخذ عنه أن يجتنب الأفعال والأقوال والتصرفات التي ظاهرها خلاف الصواب ، وإن كان محقاً فيها ؛ لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفاسد :

من جمْلتها توهم كثير ممن يعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال .

ومنها وقوع الناس فيه بالتنقص ، واعتقادهم نقصه وإطلاق ألسنتهم بذلك وقد ورد في الأثر: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم .

ومنها أن الناس يسيئون به الظن فينفرون عنه ، وينفرّون غيرهم عن أخذ العلم عنه ، وتسقط رواياته وشهادته ويبطل العمل بفتواه ، ويذهب ركون النفوس إلى ما يقوله من العلوم ، وهذه مفاسد ظاهرة ينبغي له اجتناب أفرادها ، فكيف بمجموعها . حتى وإن كان لها عنده محامل رضيّة إلا لحاجة تدعوه لذلك وتلجئه إليه .

فإن احتاج إلى شيء من ذلك ، وكان محقّاً في نفس الأمر لم يظهره فإن أظهره قصداً أو ظهر من غير قصده ، أو رأى المصلحة في إظهاره ليُعلَم جوازه وحكم الشرع فيه فينبغي أن يقول : هذا الذي فعلته ليس بحرام ،

أو إنما فعلته لتعلموا أنه ليس بحرام ، إذا كان على هذا الوجه الذي فعلته وهو كذا وكذا ، ودليله كذا وكذا . " اهـ كلام النووي .

وذلك بأن كان هذا الأمر من الأحكام التي لا يعرفها إلا قليل ، وفشا جهل الباقين لها ، فيظهر أنه فعل ذلك ويبين حكمه ليُعْلَم .

مثال ذلك أن يطوف إنسانٌ راكباً على دابة بقصد بيان جواز ذلك ، وأنه لا كراهة فيه فضلاً عن عدم حرمته .

ومن عبّر بكراهة ذلك أراد بها ما يسميها المتأخرون بخلاف الأولى .

الأدلة على ذلك :

روى الشيخان في صحيحهما عن سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنه - قال : **رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قَامَ عَلَيْهِ** — أي : **على المنبر - فَكَبَّرَ، وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنبَرِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى، حَتَى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنبَرِ، ثُمَّ عَادَ، حَتَى فَرَغَ مِنْ آخِرِ صَلَاتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ "، فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي وَلِتَعَلَّموا صَلَاتِي . ﴾**

توضيح وبيان :

كان المنبر الذي صُنِع له - صلى الله عليه وآله وسلم - ثلاث درجات ، كما صرح به مسلم في روايته ، وكانت صلاته هذه بعد خطبته كما في تحفة القاري ، والإمامة في الصلاة على المنبر ليريهم أعمال الصلاة كما ذكر ذلك في آخر الحديث .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : وفي الحديث جواز صلاة الإمام مرتفعاً على موضع المأمومين ويقاس به عكسه — أي ارتفاع المأمومين على الإمام — كما في الطوابق العليا من المسجد بشرط أن يضبط أفعال الإمام — ثم إن كان الارتفاع لغير حاجة فمكروه ولا تبطل مطلقاً على الصحيح ، وإن كان لحاجة كتعليمهم أفعال الصلاة لم يكره ، بل يستحب

لهذا الحديث ، ومن ثم إذا أراد المأموم إعلام المأمومين الآخرين بصلاة الإمام واحتاج إلى الارتفاع عنهم لم يكره .

وقوله " ثم رجع القهقري " أي مشى إلى الخلف والمراد أنه نزل بعد إكمال الاعتدال إلى أصل المنبر يمشي القهقري إلى خلفه ، وفعل ذلك محافظة على الاستقبال ، وقدّمنا أن المنبر كان على ثلاث درجات والثالثة المُسْتَراح ، فكان رسول الله - ﷺ - في الدرجة الثانية فنزل منها إلى الأرض في خطوتين ، فيؤخذ منه جواز الفعل اليسير في الصلاة ، فالخطوتان لا تبطلان الصلاة ، لكن الأولى ترك ذلك إلا لحاجة ، فإن كان لحاجة فلا كراهة كما فعل - ﷺ - .

وفيه أن العمل الكثير إذا لم يكن متواليًا لا يبطل الصلاة ، لأن النزول عن المنبر والصعود تكرر ، وجملته كثيرة ، لكن أفراده المتفرقة كل واحد منها قليل ، وكان ذلك بقصد التعليم منه - ﷺ - كما قال : " إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلّموا صلاتي " اهـ ملخصاً من شرح ابن علان الصديقي على الأذكار .

مثال آخر من السنة :

أخرج الشيخان والإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبزار والإسماعيلي وأبو عوانه وأبو نعيم والبيهقي عن صفية بنت حيي - رضي الله عنها - قالت : "**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَانقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ - ﷺ - أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : ﴿ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ .﴾ فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ**

قَالَ شَيْئًا . ﴾ هذا أحد ألفاظ رواية الصحيحين ، وفيهما روايات بنحو ذلك كما أشار القلقشندي في شرح عمدة الأحكام .

من هما الرجلان ؟

الرجلان : قيل هما أسيد بن حضيْر وعباد بن بشر - رضي الله عنهما - صاحبا المصباحين – اللذان كانا حين يخرجان من عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تضيء عصا أحدهما نوراً في الظلام ، فإذا افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما ، كرامة لهما ، كما في الصحيحين .

وقوله : " إنها صفية " قال السيوطي في " مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه " : أخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق أبي محمد بن أبي حاتم حدثنا محمد بن روح عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال : كنا في مجلس ابن عيينة ، والشافعي حاضر ، فحدث حديث " إنها صفية " فقال ابن عيينة للشافعي : ما فقه هذا الحديث يا أبا عبد الله ؟ فقال : إن كان القوم قد اتهموا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كانوا بتهمتهم إياه كفاراً ، لكن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أدب من بعده فقال : إذا كنتم هكذا فافعلوا ؛ حتى لا يُظن بكم ظن السَّوء لا أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يُتَّهَم ، وهو أمين الله في أرضه . فقال ابن عيينة : جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله ما يجيئنا منك إلا كل ما نحبه .اهـ.

فِعْلٌ فعَله الإمام علي– رضي الله عنه – :

وفي البخاري والترمذي في الشمائل والنسائي : أن عليا ـ رضي الله عنه ـ شَرِبَ قَائِمًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أنكَرُوهُ، فَقَالَ: مَا تَنظُرُونَ؟ " إِنْ أَشْرَبْ قَائِمًا، فَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَشْرَبُ قَائِمًا، وَإِنْ أَشْرَبْ قَاعِدًا، فَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَشْرَبُ قَاعِدًا . "

أي إن الإمام عليا- رضي الله عنه - شرب قائماً وذلك برحبة الكوفة وفعل ذلك لتبليغ شرعه وفعله - صلى الله عليه وآله وسلم - وفعل- رضي الله عنه - ذلك لبيان الجواز، وأن نهيه عن الشرب قائماً ليس على سبيل التحريم بل على سبيل الكراهة والتنزيه . وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى هذا المحمل حيث قال :

إذا رمت تشرب فاجلس تفز .·. بسنة صفوة أهل الحجاز

وقد صححوا شربه قــائما .·. ولكنه لبيـــــان الجواز

ما يقوله التابع للمتبوع إذا رأي في فعله ما ظاهره غير صواب وهو صواب ::

قال الإمام النووي - رحمه الله - : " اعلم أنه يستحب للتابع إذا رأى من شيخه وغيره ممن يُقتدى به شيئاً في ظاهره مخالفة للمعروف أن يسأله عنه ، بنية الاسترشاد ، فإن كان قد فعله ناسيا تداركه ، وإن كان فعله عامداً ، وهو صحيح في نفس الأمر بينه له ، فقد روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - : **أنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - حِينَ دَفَعَ مِنْ عَرَفَةَ أَرْدَفَهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ، فَلَمَّا أَتَى الشِّعْبَ** – هو الفرق بين الجبلين – **أي الشعب الأيسر الذي دون المزدلفة – نَزَلَ فَبَالَ وَلَمْ يَقُلْ: إِهْرَاقَ الْمَاءِ فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ مِنْ إِدَاوَةٍ فَتَوَضَّأَ وُضُوءًا خَفِيفًا، فَقُلْنَا: الصَّلَاةَ، فَقَالَ: ﴿ الصَّلَاةُ أَمَامَكَ . ﴾** أي مشروعة بين يديك – أي **في المزدلفة فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُزْدَلِفَةَ صَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ حَلُّوا رِحَالَهُمْ وَأَعَنْتُهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ .** "

ثم قال الإمام النووي - رحمه الله - : " قلت إنما قال أسامة ذلك ، لأنه ظن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - نسي صلاة المغرب ، وكان قد دخل وقتها – أي وهم بعرفة – وقرب خروجه . أي خروج وقت المغرب عند نزوله بذلك الشعب

فذكّر بها لذلك . فبين له -ﷺ- أن التأخير لجمع التأخير ، إذ ليس من عادته
-ﷺ- أن يؤخر أي صلاة عن أول وقتها المختار.

وروى الشيخان وأبو داود والنسائي عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- : **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: ﴿ أَوْ مُسْلِمًا ﴾ فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: ﴿ أَوْ مُسْلِمًا ﴾ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ قَالَ: ﴿ يَا سَعْدُ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ.﴾** ورد في بعض الروايات أن اسمه – جُعَيل بن سراقة الضمري –

فأنكر عليه الجزم بالإيمان الذي محله القلب ، ولا اطلاع عليه وأرشده إلى أن إطلاق الإسلام على من لم يختبر حاله أولى من إطلاق الإيمان ، لأن الإسلام معلوم بحكم الظاهر، وليس ذلك لكون جُعيلاً ليس من المؤمنين . فقد ورد في حديث عند الروياني في مسنده بسند صحيح عن أبي ذر- رضي الله عنه - : **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لَهُ: ﴿ كَيْفَ تَرَى جُعَيْلا؟ ﴾ قَالَ: فَقُلْتُ: مِسْكِينًا كَشَكْلِهِ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: ﴿ فَكَيْفَ تَرَى فُلَانًا؟ ﴾ قُلْتُ: سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ النَّاسِ، قَالَ: ﴿ فَجُعَيْلٌ خَيْرٌ مِنْ مِلْئِ الأَرْضِ، أَوْ آلَافٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ فُلَانٍ ﴾ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفُلَانٌ هَكَذَا، أَوْ أَنْتَ تَصْنَعُ بِهِ مَا تَصْنَعُ؟ فَقَالَ: ﴿ إِنَّهُ رَأْسُ قَوْمِهِ، فَأَنَا أَتَأَلَّفُهُمْ فِيهِ . ﴾**

فعُلم من هذا أن قوله " أو مسلماً " إرشاد إلى التحري في العبارة لا إنكار كون المتروك مؤمناً ولا تعليل لترك إعطائه وقد بين -ﷺ- سبب

ترك الإعطاء بقوله : إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكبه الله في النار.

وروى مسلم في الطهارة من صحيحه وأصحاب السنن في كتاب الطهارة من سننهم عن بريدة- رضي الله عنه - : **أنّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ؟ قَالَ: ﴿ عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ .﴾**

والقصد من هذا الفعل بيان أن الأمر بالطهارة عند القيام عند كل صلاة كان أولًا ، وأنه يجوز الجمع بين صلوات بطهر واحد – لمن يقدر على المحافظة على وضوئه .

ولكن الأفضل التجديد ، إذ كان من عادته - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يتوضأ لكل صلاة كما ثبت في صحيح السنة .

ونظائر هذا كثيرة في الصحيح مشهورة . والله أعلم وأحكم

﴿ بابُ ﴾

الحث على المشورة

قال الراغب في مفردات القرآن : التشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم : شِرْتُ العسل إذا استخرجته من موضعه .

والحث على المشاورة أي الحض على الاستضاءة برأي الغير فيما يريد الإنسان فعله .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران : ١٥٩

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : والأحاديث الصحيحة في ذلك أي الحث على المشورة – كثيرة مشهورة ، وتغني هذه الآية الكريمة عن كل شيء ، فإنه إذا أمر الله - سبحانه وتعالى - في كتابه نصّاً جليّا نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالمشاورة مع أنه أكمل الخلق ، فما الظن بغيره ؟ وقد علق ابن علاّن الصديقي على هذه الآية بقوله : في ذلك دليل على المشاورة وتحرير الرأي وتنقيحه والفكر فيه وأن ذلك مطلوب شرعاً .

وأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه - صلى الله عليه وسلم - بمشاورتهم تطييبًا لخواطرهم وتنبيهاً على رضاه - صلى الله عليه وسلم - حيث جعلهم أهلًا للمشاورة إيذاناً بأنهم أهل المحبة الصادقة والمناصحة ؛ إذ لا يستشير الإنسان إلا من كان فيه المودة

والعقل والتجربة ، ومنهج العرب وعادتها الاستشارة في الأمور ، وإذا لم يشاور أحداً منهم حصل في نفسه شيء .

وفي أمره -ﷺ- بالمشاورة التشريع للأمة ليقتدوا به في ذلك .

من الحقوق التي كفلها الإسلام حرية الرأي :

وكان الأساس في الاستشارة : كفالة الحرية التامة في إبداء الآراء ... هذه الحرية التي سداها التقدير ولحمتها التكريم ما لم تمس أصلاً من أصول العقيدة أو العبادة .

وقد احترم الإسلام حرية الرأي حتى للمرأة ، وأوجب ضرورة أخذ رأيها قبل الزواج ، ولا يتم زواجها إلا برضاها وموافقتها .

فلا يجوز للوالد شرعاً أن يجبر ابنته البكر البالغ ، فضلًا عن الثيب على الزواج بمن تكرهه ، حتى إذا ما أجبرها كان لها الخيار في فسخ العقد أو إنفاذه فقد روى البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال : **﴿ لَا تُنكَحُ الْأَيِّمُ حَتى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنكَحُ الْبِكْرُ حَتى تُسْتَأْذَنَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ .﴾**

ويروي البخاري كذلك عَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الْأَنْصَارِيَّةِ - رضي الله عنها - : **" أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهْيَ ثَيِّبٌ، فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَرَدَّ نِكَاحَهُ ".**

وعن عائشة - رضي الله عنها - : قالَتْ: **" جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ يَرْفَعُ بِي خَسِيسَتَهُ. " فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا ". قَالَتْ: فَإِنِّي قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ لِلْآبَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ "** رواه أحمد

والمعنى : أي ليس للآباء أن يجبروهن على الزواج عند الكراهية ، بل لابد من أخذ رأي من يراد الزواج منها ، أو العمل على إقناعها مع مراعاة الكفاءة بينهما .

فضل المشاورة والحكمة منها :

المشورة مفتاح الخير وعنوان البركة ومشعل النور ودليل الفلاح وآية المحبة وحصن من الندامة وأمان من الملامة .

وليس أدل على ما للشورى من أهمية كبرى في الإسلام من أن الله - سبحانه وتعالى - قد قرنها بركنين عظيمين من أركانه : وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حيث قال – جل شأنه – مادحًا جماعة المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الشورى : ٣٨

فالآية هادية إلى أن الشورى بين الولاة الحاكمين وبين ممثلي الأمة من أسس الإسلام القويمة ومبادئه الحقة ، وفيها دلالة على أن نظام الحكم في الإسلام دستوري لا استبدادي ، ففي الأول الخير والإسعاد والنهوض بالبلاد ، وفي الثاني : الغبن والفساد والتأخر والشقاء ، قال ابن خويز منداد : " واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون ، وما أشكل عليهم من أمور الدين ، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ، ووجوه الكتّاب والوزارة والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها " .

من أجل هذا أمر الله نبيه -ﷺ- باستشارة أصحابه وهو -ﷺ- أرجحهم عقلاً وأقومهم رأيًا وأنضجهم فكرًا ليلفت نظر الأمة إلى ما في المشورة من آثار طيبة ونتائج حميدة وليكون لها فيه أسوة حسنة .

قال الزهري - : - : كان أبو هريرة- رضي الله عنه - يقول : " **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-** " أخرجه ابن حبان وغيره .

وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله -ﷺ- : ﴿ **مَنْ أَرَادَ أَمْرًا فَشَاوَرَ فِيهِ امْرَأً مُسْلِمًا وَفَّقَهُ اللَّهُ لأَرْشَدِ أُمُورِهِ .** ﴾ قال الطبراني تفرد به عمرو بن الحصين ، قال الحافظ ابن حجر وهو ضعيف جداً .

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : " **كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ يُشَاوِرُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ فَعَلَيْكَ بِهِ** ، قال الحافظ ابن حجر : هذا حديث غريب رواته موثقون وفي بعضهم ضعف يسير .

وقال الإمام الشافعي- رضي الله عنه -:بلغنا عن الحسن البصري- رضي الله عنه - أنه قال : إن كان رسول الله -ﷺ- لغنيًا عن المشاورة ولكن أراد أن يستن به من بعده من الحكام " ذكره الشافعي معلقاً ولم يصله البيهقي كعادته في معلقات الشافعي ، قال الحافظ وقد وجدته موصولاً في تفسير ابن أبي حاتم ، أخرجه عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن شبرمة عن الحسن قال : قد علم الله أنه ليس به إليهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده .

وجوب الإخلاص في النصح عند المشورة :

عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : ﴿ **الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ .** ﴾ أخرجه الترمذي عن البخاري وقال : حديث حسن .

وأخرجه النسائي وغيره في قصة مجيئه -ﷺ- من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - قَالَ: " **خَرَجَ النَّبِيُّ -ﷺ- فِي سَاعَةٍ لَا يَخْرُجُ فِيهَا وَلَا يَلْقَاهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: ﴿ مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ ﴾ فَقَالَ: خَرَجْتُ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَأَنظُرُ فِي وَجْهِهِ وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: ﴿ مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ؟ ﴾ قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ﴿ وَأَنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ذَلِكَ فَانطَلَقُوا إِلَى مَنزِلِ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ الْأَنصَارِيِّ ﴾ وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ النَّخْلِ وَالشَّاءِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَدَمٌ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالُوا لِامْرَأَتِهِ: أَيْنَ صَاحِبُكِ؟ فَقَالَتْ: انطَلَقَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ بِقِرْبَةٍ يَزْعَبُهَا، فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَاءَ يَلْتَزِمُ النَّبِيَّ -ﷺ- وَيُفَدِّيهِ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، ثُمَّ انطَلَقَ بِهِمْ إِلَى حَدِيقَتِهِ فَبَسَطَ لَهُمْ بِسَاطًا، ثُمَّ انطَلَقَ إِلَى نَخْلَةٍ، فَجَاءَ بِقِنْوٍ فَوَضَعَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : ﴿أَفَلَا تَنَقَّيْتَ لَنَا مِنْ رُطَبِهِ . ﴾ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَخْتَارُوا، أَوْ قَالَ: تَخَيَّرُوا مِنْ رُطَبِهِ وَبُسْرِهِ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : ﴿ هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ظِلٌّ بَارِدٌ، وَرُطَبٌ طَيِّبٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ . ﴾ فَانطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ لِيَصْنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : ﴿ لَا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍّ ﴾، قَالَ: فَذَبَحَ لَهُمْ عَنَاقًا أَوْ جَدْيًا فَأَتَاهُمْ بِهَا، فَأَكَلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: ﴿ هَلْ لَكَ خَادِمٌ ﴾، قَالَ: لَا، قَالَ: ﴿ فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ فَأْتِنَا ﴾ فَأُتِيَ النَّبِيُّ -ﷺ- بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: ﴿ اخْتَرْ مِنْهُمَا ﴾ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اخْتَرْ لِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: ﴿ إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ خُذْ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي وَاسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفًا ﴾ فَانطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: مَا أَنتَ بِبَالِغٍ مَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ -ﷺ- إِلَّا أَنْ تَعْتِقَهُ، قَالَ: فَهُوَ عَتِيقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا، وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ .﴾**

وله شاهد من حديث أم سلمة عن الترمذي بعضه إن المستشار مؤتمن ، وله شواهد كثيرة في كتب السنة الأخرى فزادت رواته على العشرة كما يقول العلامة ابن علان الصديقي في الفتوحات الربانية .

وقد ورد الحث على نصح المستشار ، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه -قال : قال رسول الله -ﷺ - : **﴿ مَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدَةٍ فَقَدْ خَانَهُ ﴾**. رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في السنن الكبرى ، والحاكم في المستدرك واللفظ له.

ثم ينبغي للمشير أن يشير عليه بما هو الأصلح له في دينه وإن أضر بدنياه ، فعليه أن يشير بما فيه صلاح الدين إما مع صلاح الدنيا أيضاً أو صلاحه فقط ، ويتخلى عن الهوى ، ويشير بما ظهر له صلاحه في الدين لحديث " المستشار مؤتمن " وما أحسن ما قيل :

لا تسْـــــع في أمر ولا تفعـل به ∴ ما لم يزنك لديـك عقل ثانٍ

فالشعر معتدل بوزن عروضه ∴ وكذا اعتدال الشمس بالميزان

من الذي يُستشار ؟

قال الإمام النووي - رحمه الله - : " واعلم أنه يستحب لمن هم بأمر أن يشاور فيه من يثق بدينه وخِبْرته وحذقه ونصيحته وورعه وشفقته ، ويستحب أن يشاور جماعة بالصفة المذكورة ويستكثر منهم ويعرفهم مقصوده من ذلك الأمر ، ويبين لهم ما فيه من مصلحة ومفسدة إن علم شيئا من ذلك ، ويتأكد الأمر بالمشاورة في حق ولاة الأمور العامة كالسلطان والقاضي ونحوهما ، أي لأن أمورهم تعود على البلاد والعباد صلاحًا وفسادًا ."

وعلى المستشار بذل الوسع في النصيحة وإعمال الفكر في ذلك ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن تميم الداري- رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : **﴿ الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ . ﴾**

التطبيق العملي للشورى في التاريخ الإسلامي :

ولقد سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين هذه السيرة التي أوجبها عليه القرآن الكريم فكان - صلى الله عليه وسلم - يشجع حرية الرأي ويسمح للصحابة بتقديم الاقتراحات الهادفة البناءة ويُفسِحُ لهم صدره وكان إذا اقتنع برأي أحدهم لصلاحه ووجاهته أنفذه في الحال ، وقد روى الإمام أحمد أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - : **﴿ لَوْ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا ﴾ .**

ومن دلائل ذلك استشارته - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه يوم الحديبية كما رواه البخاري ، كما استشارهم في الخروج في غزوة بدر وفي غزوة أحد وفي الخندق كل ذلك في الخروج وعدمه ، كما استشار في بدر أيضاً في أخذ الفداء ، وأشير عليه فيها باختيار المنزل ، واستشار في الحديبية في بيان أهل مكة ، وأشارت عليه أم سلمة في التحلل فعمل برأيها ، كما استشار أصحابه فيما يكون به الإعلام في وقت الصلاة ، وغير ذلك من الأمور التي تفوق العد والحصر.

وعلى هذا النهج القويم سار الخلفاء الراشدون والسلف الصالح من بعدهم فاستشار سيدنا أبو بكر- رضي الله عنه - في قتال الردة ومانعي الزكاة وفي جمع القرآن وغير ذلك . وقد روى البخاري أن الفاروق استشار

الصحابة لما أراد الذهاب إلى الشام فأخبر بالوباء فأشار الأكثرون بالعود فعاد ، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف وروي عن ذلك خبراً مرفوعاً فيه النهي عن القدوم على الأرض الوبيئة ، وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : " كان القرّاء – أي العلماء – أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً " رواه البخاري . ورضي الله عن عثمان بن عفان فلقد أُثِر عنه أن خاطب المسلمين بقوله : " أمري لأمركم تبع " تلك هي الشورى الكريمة والديمقراطية الصحيحة وسياسة الإسلام الحكيمة التي تحيا بها الشعوب . والله أعلم وأحكم

«[باب]»

الاستخارة الشرعية وما يقال فيها

حكمها :

يستحب لمن عزم على أمر لا يدري وجه الصواب فيه كسفر وتجارة وزواج وشركة أن يستخير الله - سبحانه وتعالى - وأن يشاور فيه من يعلم منه حسن النصيحة وكمال الشفقة والخبرة ويثق بدينه ومعرفته لقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ آل عمران : ١٥٩ ، وقوله - سبحانه وتعالى - في وصف المؤمنين المتوكلين : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى : ٣٨

أما المعروف خيره كالعبادة وعمل المعروف وقضاء الحوائج التي لا مخالفة للشرع فيفعل بلا استخارة ، والمعروف شره كالمحرم والمكروه فيترك بلا استخارة .

دليل سنيتها :

عن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه – قَالَ : قَال رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : **« مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللَّهَ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ- عز وجل - »** أخرجه الحاكم وأبو يعلى وابن حبان والبزار بسند جيد والترمذي والإمام أحمد واللفظ له .

الجمع بين الاستخارة والمشورة :

وإذا شاور وظهر أنه مصلحة استخار الله - سبحانه وتعالى - في هذا الأمر ، فالجمع بين الاستخارة (من الله) والاستشارة (من الناس) من تمام الجمع بين طرفي السنة ، قال قتادة : ما تشاور قوم يبتغون وجه الله – تعالى – إلا هُدوا إلى أرشد أمرهم .

وقال الإمام علي – كرم الله تعالى وجهه - : ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم .

وبعض العلماء يرى تقديم الاستخارة على المشورة لما في ذلك من كتمان الحوائج الذي هو نجاحها ، واستدل على ذلك بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر سعدًا بن أبي وقاص بكتمان الخطبة ثم صلاة الاستخارة ، فإذا استخار الله – تعالى – يستحب له بعد ذلك الاستشارة .

وقد روى الطبراني في الصغير والأوسط والقضاعي في مسنده عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **« مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَلا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ . »** وهو حديث ضعيف لكن يعمل به في فضائل الأعمال كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء .

كيفيتها والقراءة فيها :

أما كيفيتها فهي كما رواها البخاري من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : " **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ** - صلى الله عليه وسلم - **يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ** (ويجوز أن يسمى حاجته أو يكتفي بنيته فالله أعلم

بها) **خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ** (شك من الراوي فينبغي الجمع بين الجملتين) **فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ** "رواه السبعة إلا مسلمًا .

أما القراءة فيها فيقرأ بما شاء ، واختار بعضهم – اجتهادًا – أن يقر فيها بسورة : قل يا أيها الكافرون " في الأولى ، وسورة الإخلاص في الثانية . وبعضهم قال : يقرأ في الأولى آية الكرسي وفي الثانية خواتيم سورة البقرة . واختار بعضهم آيتي : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩)** ﴾ القصص وفي الثانية يقرأ قوله – تعالى - : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)** ﴾ الأحزاب

قال الإمام النووي في الأذكار : " تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء وتكون الصلاة ركعتين من النافلة ، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب وبتحية المسجد وغيرها من النوافل ." اهـ يعني إذا نوى بها الاستخارة .

الحكمة من تقديم الصلاة على الدعاء :

إن المراد من الاستخارة الجمع بين خيري الدنيا والآخرة فيحتاج إلى قرع باب الملك ولا شيء لهذا أنجع من الصلاة لما فيها من تعظيم الله - سبحانه وتعالى - والثناء عليه وإظهار الافتقار إليه حالًا ومآلًا .

وقت صلاة الاستخارة :

لم يعين لها في الأحاديث وقت ، وعند الإمام الشافعي يجوز تأديتها في كل وقت من الأوقات لأنها صلاة لها سبب ، وعند الجمهور : تؤدى في غير أوقات النهي ، تقديما للحاظر على المبيح .

وقد فضل بعض العلماء أن يكون ذلك قبل النوم مباشرة فقد تصادف رؤيا صادقة وهي جزء من النبوة ، فإذا رأى في نومه فبها ونعمت ، وإن لم يرَ شيئاً فلا بأس ، فإن الرؤيا ليست شرطاً في الاستخارة ، ولا تتوقف عليها بل ينظر إلى ما شرح الله – تعالى – به صدره ويسره فذلك هو المعتمد .

وقد لبس الشيطان على قوم فتراهم إذا استخاروا الله – تعالى – توقفوا وعطلوا أعمالهم حتى يروا رؤيا ، فإن لم يروا شيئا دخلهم الشك والجزع ، وقد يرى أحدهم ما يحسبه رؤيا من الله وما هو إلا من حديث النفس وانشغالها بما أهمها ، وربما كان حلمًا من الشيطان ليخوفه ويحزنه ، ومن ثم أباح شيوخنا تكرار عمل الاستخارة إلى ثلاث مرات في ثلاث ليال بل إلى سبع مرات ، كما روى ابن السني والديلمي عن أنس- رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : **« يَا أَنَسُ، إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَاسْتَخِرْ رَبَّكَ فِيهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انظُرْ إِلَى الَّذِي يَسْبِقُ إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهِ . »** وسنده ضعيف جدًا . وقد استدل به على تكرارها سبعاً العيني في عمدة القاري ، لكن قال الحافظ ابن حجر : وهذا لو ثبت لكان هو المعتمد لكن سنده واه جداً .

فإن لم يستطع الصلاة فلا أقل من أن يدعو بدعاء الاستخارة متحريًا آداب الدعاء وشروطه تاركاً اختياره إلى اختيار الله – تعالى - .

وعن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه - : " أنّ النّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - " **كَانَ إِذا أَرادَ أمْرًا قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ خِرْ لِي وَاخْتَرْ لِي .﴾** رواه الترمذي والبزار وأبو يعلى وهو حديث ضعيف إلا أنه يعمل به في هذا الموطن .

تنبيه مهم :

وهنا يجب التحذير من الاستخارات البدعية التي لم ترد في كتاب ولا سنة ، بل وفيها ما يخالف مقصود الشرع الشريف كاستخارة النوم والسبحة وقراءة الفنجان والورق (الكوتشينة) والرمل والودع والكف وضرب المندل والكهانة والتنجيم والطيرة والتشاؤم فإن كل ذلك من عمل الشيطان ليضل عن سبيل الله ، وفي ذلك ما يورد المهالك .

« باب »

الدعاء والتضرع والتكبير عند القتال واستنجاز الله ما وعد من نصر المؤمنين وجواز الدعاء على من ظلم المسلمين

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال

الاهتمام بأمر المسلمين :

قال العلامة ابن الحاج المالكى فى كتابه المدخل – عند حديثه عن نية الخروج إلى المسجد - : " وينوى السؤال عن جيوش المسلمين لعله يسمع عنهم خيرا فيُسرَّ به فيشاركهم فى غزوهم فى الأجور بالسرور الذى وجده ، وقد ورد عن بعض الناس أنه مات فلم توجد له حسنة فغفر الله له لسروره يوما واحدا بما ذُكِر ، وهذا خير مغفول عنه . وعن أنس - رضي الله عنه - : **أنّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: « إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا، وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ . »** رواه الشيخان وأبو داود .

ثم قال : وينوى السؤال عن أمر العدو وشأنه لعله يسمع خيرًا يتشوشون منه فيسر به فله أجر فى ذلك أيضا كالذي قبله ، وكذلك في العكس إن سمع عنهم ما يسرهم تشوش هوله – أى حزن على ذلك – فله

الأجر فى ذلك ، وكذلك فى الوجه الذى قبله إن سمع عن المسلمين ما يقلقهم جزع على ذلك واسترجع ، فيحصل له الأجر الكثير أجر بلا عمل ولا تعب ولا نصب .

ثم قال : وينوى السؤال عن ثغور المسلمين فلعله يسمع ما يسر به أيضا مثل الوجه الأول الذى قبله سواء فى الخير وضده لكن هذا بشرط يشترط فيه وهو أن يكون بقدر السؤال فإذا حصل المراد سكت وأقبل على ما يعنيه لئلا يكون السؤال ذريعة إلى التحدث فيما لا يعنيه ." ا.هـ كلام المدخل .

تمنى الجهاد في سبيل الله والاستشهاد :

من السنة أن يتمنى المؤمن الصادق الجهاد في سبيل الله - سبحانه وتعالى - لإعلاء كلمة الله – سبحانه – حتى لا يموت على شعبة من النفاق ؛ فقد روى مسلم وغيره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **﴿ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ . ﴾**

ومن حدث نفسه بالغزو وتمنى الشهادة فى سبيل الله – تعالى – بصدق نال مرتبة الشهادة وقد تكون نية المرء أبلغ من عمله . وقد روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **﴿ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ. ﴾**

الدعاء بالنصر على الكافرين والانتقام منهم :

وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - في مواضع كثيرة من كتابه عن الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – بدعائهم على الكفار ، كدعوة سيدنا نوح

- عليه السلام - : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ نوح ،

ودعوة سيدنا موسى - عليه السلام - : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يونس

وروى البخارى ومسلم عن الإمام على – كرم الله وجهه – أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال – يوم الأحزاب - : **﴿ ملأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نارًا كَمَا شَغَلُونا عَنْ الصَلَاةِ الْوُسْطَى، حَتَى غَابَتِ الشَّمْسُ . ﴾** وفى رواية الترمذى : **﴿ اللَّهُمَّ امْلَأْ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نارًا كَمَا شَغَلُونا عَنْ الصَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَى غَابَتِ الشَّمْسُ . ﴾**

وفى صحيحي البخاري ومسلم عن أبى هريرة- رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يدعو : **﴿ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ** – أى خذهم أخذا شديدا – **اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ .﴾** وسنين يوسف هى السبع المجدبة وأضيفت إليه لأنه هو الذى قام بأمور الناس فيها .

وفى الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو فى قبته يوم بدر : **﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَنشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ، يَقُولُ:** ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ القمر: ٤٥ – ٤٦ "

وفى الصحيحين عن عبد الله بن أبى أوفى- رضي الله عنه - : " **أن رَسُولَ اللَّهِ** - صلى الله عليه وآله وسلم - **في بَعْضِ أَيَّامه الَّتي لَقِيَ فِيهَا انتظَرَ حَتى مَالَت الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَاسِ خَطِيبًا، قَالَ: ﴿ أَيُّهَا النَاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ**

فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ، وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ . ﴾ وفي رواية : **﴿ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ . ﴾**

وروى في سنن أبى داود والترمذي والنسائي عن أنس- رضي الله عنه - قال : " **كَانَ رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - إِذَا غَزَا قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ أَنتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ . ﴾**

معنى عضدي : أي عوني ، ومعنى أحول : أي أحتال ، وفيه وجه آخر وهو أي يكون معناه المنع والدفع أي لا أمنع ولا أدفع إلا بك .

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبى موسى الأشعري- رضي الله عنه - : " **أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ إِذَا خَافَ مِنْ رَجُلٍ، أَوْ مِنْ قَوْمٍ، قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ ﴾**

وفي كتاب ابن السني عن جابر - رضي الله عنه -قال:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - يَوْمَ حُنَيْنٍ : **﴿ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ مَا تُبْتَلَوْنَ بِهِ مِنْهُمْ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ، وَقُلُوبُنَا وَقُلُوبُهُمْ بِيَدِكَ، وَإِنَّمَا تَغْلِبُهُمْ أَنْتَ .﴾**

وروى ابن السني أيضا عن أنس- رضي الله عنه - قال:" **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فِي غَزْوَةٍ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿ يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.﴾ قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ الرِّجَالَ تُصْرَعُ، تَضْرِبُهَا الْمَلائِكَةُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهَا وَمِنْ خَلْفِهَا .** "

قال الإمام النووى : ويستحب استحبابا متأكدا أن يقرأ ما تيسر له من القرآن ، وفي عمل اليوم والليلة لابن السني : عَنِ ابْنِ عُمَرَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : **﴿ إِذَا خِفْتَ سُلْطَانًا أَوْ غَيْرَهُ، فَقُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ . ﴾**

وروى الترمذي عن أنس- رضي الله عنه - قال : " **كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: ﴿ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ . ﴾**

والله تعالى خير الناصرين وهو على كل شئ قدير.

﴿ بابُ ﴾

ما يقول إذا خاف قوما أو سلطانا أو نظر إلى عدوه

ينبغي لمن خاف قوما أو سلطانا أو ظالما وأراد دفع شره ورد كيده أن يدعو بما ورد في سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وبما كان يعلمه - صلى الله عليه وآله وسلم - أصحابه ، وبما كان السلف الصالح يتلونه من آيات قرآنية تنجيهم مما يخافون .

روى أبو داود والنسائي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : " **أنّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ إِذَا خَافَ مِنْ رَجُلٍ، أَوْ مِنْ قَوْمٍ، قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ إِنَا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ . ﴾**

وروى ابن السنى بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : **﴿ إِذَا خِفْتَ سُلْطَانًا أَوْ غَيْرَهُ، فَقُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَربِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلا أَنتَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ . ﴾**

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **﴿ إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمُ السُّلْطَانَ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلانِ بْنِ فُلانٍ يَعْنِي الَّذِي يُرِيدُ، وَشَرِّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَأَتْبَاعِهِمْ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنهُمْ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ﴾** قال في مجمع الزوائد : وفيه جنادة بن مسلم وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح .

ورواه البخاري في الأدب المفرد والمنذري في الترغيب والترهيب عن أبى مجلز واسمه لاحق بن حميد قال : " من خاف من أمير ظلما فقال :

رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد -ﷺ- نبيا وبالقرآن حكما وإماما . نجاه الله منه ." رواه ابن أبي شيبة موقوفا عليه وهو تابعي ثقة كما قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ -ﷺ- حِينَ، قَالُوا: ﴿ **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾ آل عمران : ١٧٣

وذكر الإمام النووي بروايته عن ابن السني عن أنس- رضي الله عنه - قال : ﴿ **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي غَزْوَةٍ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: " يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ". قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ الرِّجَالَ تُصْرَعُ، تَضْرِبُهَا الْمَلائِكَةُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهَا وَمِنْ خَلْفِهَا .** ﴾ ورواه الطبراني في كتاب الدعاء .

وروى أبو نعيم في المستخرج على مسلم عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - في حديث الهجرة أن النبي -ﷺ- دعا على مالك بن سراقة بن جعشم حين اتبعه وأبا بكر فقال : ﴿ **اللَّهُمَّ ! اكْفِنَا بِمَا شِئْتَ .** ﴾ **قَالَ: فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ فِي الأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا.** "

وروى أبو داود – واللفظ له – والترمذي وابن حبان في صحيحه والنسائي والترمذى وقال : حسن غريب عن أنس- رضي الله عنه - قال : **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا غَزَا قَالَ:** ﴿ **اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ .** ﴾ ومعنى بك أحول أي أتحرك ، ومعنى بك أصول أي أسطو ، ومعنى إنا نجعلك في نحورهم : هو على حذف مضاف أي نجعل قدرتك ، وقيل أي نجعلك حائلا بيننا ودافعا عنا ، فهو كناية عن الاستعانة به في دفعهم إذ

لا حول ولا قوة لنا إلا به سبحانه . وأصله جعلت فلانا فى نحر العدو أى مقابلته ليحول بينى وبينه ويدفعه عنى وخص النحر بالذكر لأن العدو يستقبل به عند التصاف للقتال وللتفاؤل بأن المؤمنين ينحرونهم عن آخرهم ، والمعنى نسألك أن تصدهم وتدفع شرورهم وتكفينا أمورهم ، وقيل : نسألك أن تتولانا في الجهة التي يريدون أن يأتوا لنا منها .

وجاء في مختصر زاد المعاد في فصل في مبدأ الهجرة : " .... واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب يريدون بياته ويأتمرون أيهم يكون أشقاها فخرج رسول الله -ﷺ- فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رؤوسهم وهم لا يرونه وهو يتلو : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يس : ٩

ما ورد عن السلف الصالح من قراءة آيات لهذا الغرض :

ذكر الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب المذهب الإبريز فى أسرار خواص كتاب الله العزيز فائدة فقال : روى عبد الله بن عبد الحكم - رضي الله عنه - قال : أنفذ أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى أبى عبد الله مالك بن أنس- رضي الله عنه - يدعوه إلى مجلسه ، فلما وصل إليه قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ فرحب به أمير المؤمنين وأكرمه وبجله ، فوجد الإمام مالك في مجلسه الإمام أبا يوسف من أصحاب الإمام أبى حنيفة- رضي الله عنه - ملاصقا له وعن جانبه الآخر ولد أمير المؤمنين فقال : يا أمير المؤمنين أين

أجلس ؟ فالمستشار مؤتمن . قال ههنا ، ثم أجلسه عن يمينه بينه وبين ولده ثم قال له : يا أبا عبد الله لم يجلس بشرفي هذا المكان سواك وولدي ، فقال له الإمام مالك : أنت من الشجرة المباركة فلا يأتي منك إلا الطيب . فكان من خاصية هذه الآية الشريفة تليين المقال وإجلاسه فى أرفع منازل الإقبال .

ثم نقل الإمام أبو حامد عن الإمام أبي يعقوب البويطي من أصحاب الإمام الشافعي- رضي الله عنه - قال : لما وصل الشافعى إلى مصر ورحب به الناس ، وكان كل يدعوه إلى النزول عنده ، فخرج وأتاه حرس الأمير يدعوه إلى النزول عنده ، فخرج الإمام الشافعي معه إلى دار الإمارة فلما دخل قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ فقام إليه الأمير وأكرم مثواه ، ثم أجلسه في أعلى مجلسه وأعطاه جائزة سنية ، وذلك بعد أن طالبه بمكس فلما قابله بهذه الآية الكريمة ألان له المقال وأعطاه الجائزة بغير سؤال . (المكس هو أخذ المال بغير حق .)

﴿ بابٌ ﴾

الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والفقر

من أعظم أبواب الفرج الاشتغال بالأدعية التي تفتح أبواب الرزق وتسهل أسبابه وتدفع الضيق الحاصل بسبب الدين والفقر فإذا فزع المؤمن إلى الله - سبحانه وتعالى - خصوصاً بالأدعية الخاصة بهذا الباب فإن ذلك يكون أدعى إلى القبول وبلوغ المأمول وقد جاء في هذا الموضوع عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعن مجربات السلف الصالح أشياء كثيرة نذكر منها :

[١] الاستغفار :

قال تعالى عن نبيه نوح-عليه السلام- : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٠ - ١٢

وروى أبو داود وابن ماجه وأحمد في مسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : **﴿ مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .﴾**

[٢] لا حول ولا قوة إلا بالله :

أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : " **مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ نِعْمَةً فَلْيُكْثِرْ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ رِزْقُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ** ".

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أسد بن وداعة- رضي الله عنه - يرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قال : " **لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبداً** " .

وروى الترمذي عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: **« أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ. »** قَالَ مَكْحُولٌ: فَمَنْ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا مَنْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ كَشَفَ عَنْهُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الضُّرِّ أَدْنَاهُنَّ الْفَقْرُ". قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ، مَكْحُولٌ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

[٣] **سورة الواقعة** :

أخرج أبو عبيدة في فضائل القرآن والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في شعب الإيمان ، وذكره أبو عمر ابن البر في التمهيد عن ابن مسعود- رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: **« مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، لَمْ يُصِبْهُ فَاقَةٌ . »**

وكذا ذكره الحافظ بن كثير في أول تفسير سورة الواقعة .

وأخرج ابن مردويه عن أنس- رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **« سورة الواقعة سورة الغنى فعلموها أولادكم . »**

فهذه السورة لها سر عظيم وخاصية عجيبة في طلب الغنى ونفي الفقر" .

فإن قلت : " إرادة متاع الدنيا بعمل الآخرة لا يصح ، قلت : أجاب العلماء عن هذا بقولهم : مرادهم أن يرزقهم الله تعالى قوة على درس العلم وهذه من جملة إرادة الخير من دون الدنيا فلا رياء اهـ . وقال الإمام

الشاطبي : " لابد للعالم من مال وجاه حتى لا يذل لأحد ولا يحتاج لأحد " كذا في خزينة الأسرار للسيد محمد حقي النازلي .

[٤] الذكر والدعاء :

أما الذكر : فقد روى الخطيب من رواية مالك- رضي الله عنه - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : **أتى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأنا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ الدُّنيَا تَوَلَّتْ عَنِّي وَأَدْبَرَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ فَأَيْنَ أَنتَ عَنْ صَلاةِ الْمَلائِكَةِ، وَتَسْبِيحِ الْخَلائِقِ، وَبِهِ يُرْزَقُونَ؟ . ﴾ قَالَ: وَمَا هُوَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ﴿ قُلْ حِينَ يَطْلُعُ الْفَجْرُ إِلَى صَلاةِ الْغَدَاةِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، مِائَةَ مَرَّةٍ، تَأْتِيهِ الدُّنْيَا صَاغِرَةً رَاغِمَةً، وَخُلِقَ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا مَلَكٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ - عز وجل - إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَكَ ثَوَابُهُ ﴾ فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله : لقد أقبلت على الدينا فما أدري أين أضعها .**

وأخرج أبو نعيم والخطيب في رواية مالك والديلمي في مسند الفردوس عن علي – كرم الله وجهه – قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : **﴿ مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ وَاسْتَجْلَبَ بِهِ الْغِنَى . ﴾**

وأما الدعاء فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يدعو الله تعالى ويسأله تيسير الرزق والعيش السعيد الواسع الطيب .

أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسنه الهيثمي عن عائشة - رضي الله عنها - : " **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ يَدْعُو: " اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي وَانْقِطَاعِ عُمْرِي . ﴾** وأخرجه الحاكم وحسن إسناده ومتنه .

قال الشوكاني : وإنما سأل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ربه أن يجعل أوسع رزقه عند كبر سنه ، لأن الكبير يضعف عن السعي ويكسل عن تحصيل الرزق ،

وأما المراد بانقطاع العمر فهو انقطاع أكثره حتى يصير في سن الشيخوخة منتظرًا للموت ، وليس المراد الانقطاع التام وهو الموت .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه وابن السني عن أم سلمة - رضي الله عنها - : **أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: ﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا . ﴾**

ومعنى رزقًا طيبًا أي : حلالًا ملائمًا للقوة معينًا على الطاعة والعبادة .

وروى الإمام النووي في الأذكار بسنده في كتاب ابن السني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - قَالَ: **﴿ مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا عَسُرَ عَلَيْهِ أَمْرُ مَعِيشَتِهِ أَنْ يَقُولَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي وَمَالِي وَدِينِي، اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا قُدِّرَ لِي حَتَّى لا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ . ﴾**

﴿ باب ﴾

ما يقال عند الابتلاء بالدَّينِ ورجاء قضائه

١- الاستعاذة من الدين على وجه العموم :

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو في الصلاة : **﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ . ﴾** (المأثم) ما يوجب الإثم، (والمغرم) هو الدين .

وروى النسائي والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - قال : **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ . ﴾ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْدِلُ الدَّيْنَ بِالْكُفْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ نَعَمْ ﴾**

أي أن الدَّين مثل الكفر يدعو إلى المذلة والمسكنة ويجلب العار والدمار ويذهب المروءة والشهامة ويضع المستدين في سلاسل الأسر والتحقير. وفي البخاري عن أنس بن مالك- رضي الله عنه -قال : **كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: ﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ . ﴾**

٢- ما يقال لقضاء الدين :

وروى الترمذي واللفظ له والحاكم وصححه عن الإمام علي – كرم الله وجهه – أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ

دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: " قُلْ: ﴿ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .﴾

مكاتب : هو العبد الذي يشتري نفسه من سيده ويتفق معه على دفع ما يشتري به نفسه ليعيش حراً – جبل صِيرٍ- : باليمن يطل على مدينة تعز كما في القاموس وفي لفظ " جبل صبَيرٍ " كذا في الترغيب والترهيب للمنذري .

وروى أبو دواد في سننه عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - قال : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنْ الْأَنصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: ﴿ يَا أَبَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟ ﴾ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ﴿ أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ - عز وجل - هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟ ﴾ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ﴿ قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ .﴾ قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ- عز وجل - هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي . " قال الشوكاني : ولا مطعن في إسناد هذا الحديث ، وقوله " وقهر الرجال " أي تسلطهم بغير حق تغلبًا وجدلًا .

وروى الطبراني في الصغير بإسناد جيد عن أنس بن مالك- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : ﴿ أَلا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا لأَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قُلْ يَا مُعَاذُ: اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا، تُعْطِيهُمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ .﴾ قَالَ الطَّبَرَانِيُّ: لَمْ يَرْوِهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ إِلا يُونُسُ، وَلا عَنْهُ إِلا وَهْبُ اللَّهِ.

وروى البزار والحاكم والأصفهاني والطبراني في الصغير ورواته ثقاة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : **دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - دُعَاءً عَلَّمَنِيهِ؟، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: كَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يُعَلِّمُهُ أَصْحَابَهُ قَالَ:﴿ لَوْ كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَبَلُ ذَهَبٍ دَيْنًا، فَدَعَا اللَّهَ بِذَلِكَ لَقَضَاهُ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ فَارِجَ الْهَمِّ، كَاشِفَ الْغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، أَنْتَ تَرْحَمُنِي، فَارْحَمْنِي بِرَحْمَةٍ تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ ﴾. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكَانَتْ عَلَيَّ بَقِيَّةٌ مِنَ الدَّيْنِ، وَكُنْتُ لِلدَّيْنِ كَارِهًا، فَكُنْتُ أَدْعُو بِذَلِكَ، فَأَتَانِي اللَّهُ بِفَائِدَةٍ فَقَضَاهُ اللَّهُ عَنِّي، قَالَتْ عَائِشَةُ: " كَانَ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ عَلَيَّ دِينَارٌ وَثَلاثَةُ دَرَاهِمَ فَكَانَتْ تَدْخُلُ عَلَيَّ فَأَسْتَحْيِي أَنْ أَنْظُرَ فِي وَجْهِهَا لأَنِّي لا أَجِدُ مَا أَقْضِيهَا، فَكُنْتُ أَدْعُو بِذَلِكَ فَمَا لَبِثْتُ إِلا يَسِيرًا حَتَى رَزَقَنِي اللَّهُ رِزْقًا مَا هُوَ بِصَدَقَةٍ تُصُدِّقَ بِهَا عَلَيَّ، وَلا مِيرَاثٌ وَرِثْتُهُ فَقَضَاهُ اللَّهُ عَنِّي، وَقَسَمْتُ فِي أَهْلِي قَسْمًا حَسَنًا، وَحَلَّيْتُ ابْنَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِثَلاثِ أَوَاقٍ وَرِقٍ وَفَضَلَ لَنَا فَضْلٌ حَسَنٌ ".**

فائدة :

روى صاحب الفردوس عن أنس- رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **﴿ من قال يوم الجمعة اللهم : " أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك " (سبعين مرة) لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله .﴾** وأصل الحديث أخرجه أحمد والترمذي اهـ . قاله العلامة ابن علان في الفيوضات الربانية على الأذكار النووية .

﴿ بابُ ﴾

ما يقوله إذا قضى دينا أو تقاضى دينا

(أى دعاء الدائن للمدين ودعاء المدين للدائن)

دعاء المدين للدائن بالبركة في الأهل والمال والجزاء بالخير :-

روى النسائي في سننه وابن ماجه وابن السني عن عبد الله بن أبى ربيعة الأنصاري- رضي الله عنه - قال : " **اسْتَقْرَضَ مِنِّي النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أَرْبَعِينَ أَلْفًا فَجَاءَهُ مَالٌ، فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: ﴿ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ . ﴾**

وروى الترمذي وابن حبان عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **﴿ مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ ﴾** قال الترمذي: حديث حسن صحيح .

وأخرجه أبو داود والنسائي ، والحاكم وابن حبان وصححاه من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : **﴿ مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ ﴾**

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث أنس- رضي الله عنه - قال : **قَالَتِ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَتِ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَحْسَنَ بَذْلًا لِكَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ مِنْهُمْ، وَلَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ؟ قَالَ: ﴿ أَلَيْسَ تُثْنُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَتَدْعُونَ اللَّهَ لَهُمْ؟ ﴾ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ﴿ فَذَاكَ بِذَاكَ .﴾**

دعاء الدائن للمدين بأن يوفيه دينه :-

أخرج البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة- رضي الله عنه - قال : " **كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - سِنٌّ مِنَ الْإِبِلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: ﴿ أَعْطُوهُ . ﴾ فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا، فَقَالَ: ﴿ أَعْطُوهُ . ﴾ فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهُ بِكَ، قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً . ﴾**

قال الشوكانى : وفى هذا الحديث مشروعية الدعاء من صاحب الدين لمن عليه الدين بهذا الدعاء عندما يوفيه دينه ، قال ابن علان : وهذا الذكروإن كان موقوفا من ذلك القائل لكن أقره المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - فهومن جملة سنته ، فهومن الذكر المأثور عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - .

قصة وعبرة ومنهج حياة : -

روى القسطلاني في المواهب وأبو نعيم في الدلائل وابن سعد في الطبقات والقاضي عياض في الشفا عن زَيْدٍ بْنُ سَعْنَةَ- رضي الله عنه - أجل أحبار اليهود الذين أسلموا – أنه قال : **إِنَهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلامَاتَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وآله وسلم - حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْه، إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْه إِلا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - مِنَ الْحُجُرَاتِ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِه كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، قَرْيَةُ بَنِي فُلانٍ قَدْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ، وَكُنْتُ أَخْبَرْتُهُمْ أَنَهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا، وَقَدْ أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ وَقَحْطٌ مِنَ الْغَيْثِ، وَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّه، أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيه طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُغِيثُهُمْ بِه فَعَلْتَ، قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - إِلَى رَجُلٍ جَانِبَهُ، أُرَاهُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْه فَقُلْتُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلانٍ إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: ﴿ لا، يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنْ**

أبِيعُكَ تمْرًا مَعْلُومًا إلَى أجْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلا أُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فُلانٍ .﴾ قُلْتُ: نعَمْ، فَبَايَعَنِي -ﷺ- فَأَطْلَقْتُ هُمْيَانِي، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالا مِنْ ذَهَبٍ فِي تمْرٍ مَعْلُومٍ إلَى أجْلِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ وَقَالَ: ﴿ اعْجَلْ عَلَيْهِمْ وأغثهُمْ بِهَا . ﴾ قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحلِّ الأجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأنصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: ألا تقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَنظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ إنَا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ . ﴾ قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ، فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا، فَمَنْ أَنتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إلا حِلْمًا، فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ -ﷺ- نَبِيًّا، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي -فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالا- صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -ﷺ- فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لا تَسَعُهُمْ كُلَّهُمْ، قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ -ﷺ- فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَشَاهِدَ كَثِيرَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلا غَيْرَ مُدْبِرٍ

[١٠٦]

رَحِمَ اللَّهِ زَيْدًا، قَالَ: فَسَمِعْتُ الْوَلِيدَ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي بِهَذَا كُلِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ

هذا ونسأل الله – عزوجل – أن يخلقنا بخلق رسول الله - ﷺ - فنسعد في الدنيا والآخرة ؛ إنه ولي ذلك والقادرعليه .

باب

ما يقول إذا اشترى دابة

يستحب لمن اشترى دابة أن يأخذ بناصيتها ويقول : اللهم إنى أسألك خيرها ، وخيرما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها ، وشرما جبلتها عليه .

فقد روى أبو داود في سننه وابن ماجه وابن السنى بأسانيد صحيحة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده- رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **﴿ إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ .﴾** قَالَ أَبُو دَاوُد: زَادَ أَبُو سَعِيدٍ: ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ

ويستحب أن يسمى الله – تعالى – لأن كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر. كما ورد فى بعض روايات الحديث عند أبى عوانة وابن حبان بسند ضعيف .

« باب »

ما يقوله إذا وقع في هلكة أو أصابه بلاء

من أعظم أبواب الفرج والخروج من الهلكة واستدفاع أنواع البلاء قول :

" لا حول ولا قوة إلا بالله "

فإن الله يصرف بها من البلاء ما شاء :

روى ابن السنى عن الإمام على – كرم الله وجهه – قال : قال لي رسول الله -ﷺ- : **﴿ يَا عَلِيُّ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا وَقَعْتَ فِي وَرْطَةٍ قُلْتَهَا؟ " قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، كَمْ مِنْ خَيْرٍ قَدْ عَلَّمْتَنِيهِ. قَالَ: " إِذَا وَقَعْتَ فِي وَرْطَةٍ فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُ بِهَا مَا شَاءَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلاءِ .﴾** ورواه الطبراني في كتاب الدعاء وهو حديث غريب . الورطة : بفتح الواو وإسكان الراء وهى الهلاك ، وأصلها الهوة العميقة فى الأرض .

وهى دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم :

أخرج الحاكم في المستدرك وصححه والطبراني في الكبير من حديث أبى هريرة- رضي الله عنه - عن رسول الله -ﷺ- قال : **﴿ مَنْ قَالَ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، كَانَ دَوَاءً مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً أَيْسَرُهَا الْهَمُّ . ﴾** قال الشوكانى : المراد أنها شفاء من جميع الأمراض والعلل .

وهي كنز من كنوز الجنة :

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله -ﷺ- : **﴿ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ**

مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ . ﴾ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: ﴿ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . ﴾

وهي تكشف سبعين بابا من الضر :

فقد روى الترمذي عن أبى هريرة- رضي الله عنه - قال : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : **﴿أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنهَا كَنزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ. ﴾** قَالَ مَكْحُولٌ: فَمَنْ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا مَنْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ كَشَفَ عَنْهُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الضُّرِّ أَدْنَاهُنَّ الْفَقْرُ". قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ، مَكْحُولٌ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَة

وهى باب من أبواب الجنة :

روى الإمام أحمد والطبراني عن معاذ بن جبل- رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **﴿ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؟ ﴾** قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: **﴿ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .﴾** ورواه الحاكم وصححه من حديث قيس بن سعد بن عبادة- رضي الله عنه - : **أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - يَخْدُمُهُ، قَالَ: فَمَرَّ بِيَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وَقَدْ صَلَّيْتُ فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: ﴿ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؟ ﴾ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: ﴿ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . ﴾**

وهى غراس الجنة :

فمن أكثر منها فقد أكثر لنفسه من غراسها ، وهى وصية سيدنا إبراهيم - عليه السلام - للأمة المحمدية . فقد روى الإمام أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه - : **" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبراهِيمَ، فَقَالَ: " مَنْ مَعَكَ يَا جِبرِيلُ ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبراهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ، قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: ﴿ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . ﴾**

وهى سبيل لحصول الفرج وكشف الكرب :

وقد جربها أصحاب رسول الله -ﷺ- فحصل ذلك على الوجه المطلوب وفوق المطلوب .

فعن محمد بن إسحاق- رضي الله عنه - قال : جاء مالك الأشجعى إلى النبي -ﷺ- فقال : **أسر ابنى عوف ، فقال : ﴿ أرسل إليه أن رسول الله -ﷺ- يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله .﴾ فأتاه الرسول فأخبره ، فأكب عوف يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكانوا قد شدوه بالقد ، فسقط القد عنه ، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها ، فأقبل فإذا هو بسرح القوم فصاح بهم فاتبع آخرها أولها ، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب ، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة ، فقالت أمه : واسوأتاه ، وعوف كئيب بألم ما فيه من القد ، فاستبق الأب والخادم إليه ، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا ، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل ، فأتى أبوه رسول الله -ﷺ- فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل . فقال له رسول الله -ﷺ- :﴿ اصنع بها ما أحببت . ﴾ وما كنت صانعا بإبلك ونزل :** ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣." ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ، وقال : رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره ، ورواه ابن أبي حاتم كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور . القد : وتر القوس – وهو بكسر القاف ، والسرح : الماشية .

وهى دافعة للفقر بحفظ الله وفضله لمن قالها في كل يوم مائة مرة :

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أسد بن وداعة- رضي الله عنه - يرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من قال : **﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبداً . ﴾**

وقد سبق في حديث أبى هريرة- رضي الله عنه - أن من قالها كشف عنه سبعون بابا من الضر أدناهن الفقر.

معناها اللغوى :

قال الهروى : قال أبو الهيثم : الحول : الحركة . يقال : حال الشخص أي نظر هل يتحرك أو لا . وكأن القائل يقول : لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله-عز وجل- فلا حول في دفع شرولا قوة في درك خيرإلا بإذن الله .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي : الحول هو الحركة والقوة هى القدرة ، ولا حركة ولا قدرة لأحد من الخلق على كل شئ من الأشياء إلا بالله القوى القادر.

معناها وتفسيرها الشرعي :

روى البيهقي في شعب الإيمان عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **كُنتُ عِندَ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَوْمًا، فَقُلْتُ: " لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ﴿ أتدْرِي مَا تفْسِيرُهَا؟ ﴾ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: ﴿ لا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إلا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إلا بِعَوْنِ اللَّهِ، هَكَذَا أخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ . ﴾** ولعل تخصيصه بالطاعة والمعصية لأنهما أمران مهمان فى الدين .

وروى عن الإمام على- رضي الله عنه - فى معناها : أى : إنا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك من دونه ، ولا نملك إلا ما ملكنا مما هو أملك به منا .

قال شرف الدين الشاذلى : وهى كلمة جليلة في استدفاع ما يرِدُ عليَّ من سوء ، وأرد حول من أرادني بحول الله – تعالى – وقوته ، فيستشعر العبد أنه إنما يؤتى عليه من رجوعه على حول نفسه ، ورد ما يخاف من بأس برجوعه إلى تقديره والتماس تدبيره لنفسه ، فإذا رجع إلى الله تعالى وشاهد عظيم لطفه وخفى تدبيره وتبرأ من الحول والقوة بين يدى مالك أموره أمده الله تعالى بمعونته ودفع عنه المكروه بحوله وقوته يدل على ذلك قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أى كافيه وحافظه .

﴿ باب ﴾

ما يقال عند نزول الكرب

تعريف الكرب :

هو الحزن والغم الذى يأخذ بالنفس – وجمعه كروب – وكربه الأمر يكربه كربا اشتد عليه فهو مكروب وكريب والاسم كربة .

روى البخارى أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وآله وسلم- حِينَ، قَالُوا: ﴿ **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾ آل عمران: ١٧٣ وفى رواية للبخاري أيضا : " كان آخر قول إبراهيم -عليه السلام- حين ألقى فى النار: حسبنا الله ونعم الوكيل ."

وروى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : **﴿ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ.﴾** وفى رواية : **﴿ إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إلا فُرِّجَ عَنهُ: كَلِمَةَ أَخِي يُونُسَ: فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . ﴾**

أخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن أبى هريرة- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : **﴿ مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إلا تَمَثَّلَ لِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا . ﴾**

وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول عند الكرب : **﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ . ﴾** زاد البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس : **﴿ اللهم اصرف شره .﴾** وزاد أبو عوانة في مسنده الصحيح : " ثم يدعو بعد ذلك ."

وروى الترمذي عن أنس- رضي الله عنه - : " **كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: ﴿ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ . ﴾**

وفى سنن أبي داود عن أبي بكرة- رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **﴿ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .﴾**

وروى أبو داود وابن ماجه وأحمد في المسند وابن حبان عن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت : **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ، أَوْ فِي الْكَرْبِ: اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .﴾** زاد الطبرانى فى الدعاء : **﴿ ثلاث مرات . ﴾**

وروى الإمام أحمد من حديث الإمام على – كرم الله وجهه – قال : " **عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَنْ أَقُولَ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . ﴾**

حكاية مناسبة :

قال ابن بطال : حدثني أبو بكر الرازي قال : " كنت بأصبهان عند أبى نعيم أكتب الحديث وهناك شيخ يقال له أبو بكر بن على ، عليه مدار الفتيا ، فسعى به عند السلطان – يعنى كذب عليه – فسُجِن ، فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر، فقال

النبي -ﷺ- : قل لأبي بكر بن على يدعو بدعاء الكرب الذى في صحيح البخاري حتى يفرج الله - تعالى - عنه ، قال : فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليل حتى أفرج . " ذكرها الشيخ حبيب الله الشنقيطي في شرحه على زاد المسلم .

تنبيه :

تُكرَّر هذه الكلمات التي جمعناها من جملة الأحاديث الواردة في تفريج الكروب من غير عدد معين بل حتى يزول الكرب وتنجلي الشدة ببركة هذه الكلمات والاقتداء برسول الله -ﷺ- وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان ، والله ولى التوفيق ، وهو الهادي إلى أقوم طريق .

﴿ باب ﴾

ما يقول إذا أصابه هم أو حزن

من أعظم أبواب الفرج وإزالة الهم والضيق والهم والحزن الاشتغال بالأدعية التي تفرح القلوب وتفرج الكروب وتدفع الخوف والهم وتطرد القلق والغم .

وقد جاء عن سيدنا ومولانا رسول الله -ﷺ- من ذلك ما ينبغي للمؤمن أن يعلمه ويتعلمه ويدعو به إذا وقع في شئ من ذلك . فقد روى ابن السني في عمل اليوم والليلة عن سيدنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : **﴿ مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ فِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ يَعْنِي فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَشِفَاءَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي ". قَالَ: " فَمَا قَالَهُنَّ عَبْدٌ قَطُّ إِلا أَبْدَلَهُ اللَّهُ -عز وجل- مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا نَعَلَّمُهُنَّ؟ قَالَ: " بَلَى، فَعَلِّمُوهُنَّ " ﴾**

والفرق بين الهم والحزن : أن الهم يكون فى الأمر المتوقع ، والحزن فيما قد وقع .

قوله " وابن أمتك " : أى جاريتك ومملوكتك . والناصية : مقدم الرأس ، وهى كناية عن كمال قدرته - سبحانه وتعالى - وإشارة إلى أن إحاطته على وفق إرادته ، ماض : أي نافذ فىّ : أي في حقِّي حكمك : إذ لا مانع لما قضيت ، قوله : أن تجعل القرآن : في بعض نسخ الحصن وفى رواية ابن مسعود [العظيم] وكذا قال الحافظ : إنه عند بعض الرواة ، جلاء : بكسر الجيم

والمد أى إزالته وكشفه ، من جلوت السيف جِلاء بالكسر أي صقلته ، ويقال : جلوت همى عنى أي أذهبته ، ووقع في بعض نسخ الحصن بفتح الجيم ، قال فى الحرز : فهو جلاء القوم عن الموضع ومنه قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ الحشر: ٣ والمعنى : اجعله سبب تفرقة حزنى وجمعية خاطرى .

قوله وذهاب همى : أى الهم الذى لا ينفعني ويفرقني ولا يجمعني .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ **مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، عُوفِيَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ.** ﴾

وجاء في الدعاء للطبراني مقطوعا على سفيان الثوري : " مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، كُفِيَ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ وَوَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ وَمُتِّعَ بِعَقْلِهِ حَتَّى يَمُوتَ "

ومن أعظم أبواب الفرج وإزالة الهم والحزن الاستغفار لأن كثرة الهموم وتوالى الأكدار سببها شؤم الذنوب والإصرار ؛ فجدير بأن يكون دواءها الاستغفاروصدق التوبة والاعتذار.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿ **مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .** ﴾ أخرجه أبو داود وابن حبان والنسائي وصححه ابن حبان وأخرجه من حديث ابن ماجه . ولفظ النسائى : ﴿ **من أكثر الاستغفار .** ﴾

قال الشوكاني : وفى الحديث فضيلة عظيمة ، وهى أن الاستكثارمن الاستغفارفيه المخرج من كل ضيق والفرج من كل هم ، وحصول الأرزاق

له من حيث لا يحتسب ولا يكتسب ، فمن حصل له ذلك عاش في نعمة سالما من كل نقمة . ا. هـ .

ومن فوائد الاستغفار– كما في شرح تراجم البخاري للإمام محمد بن أحمد فضل - : محو الذنوب وستر العيوب وإدرار الأرزاق وسلامة الخلق والعصمة في المآل وحصول الآمال ، وجريان البركة في الأموال وقرب المنزلة من الديان ، فالثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور لتزول الآثار وتنشرح الصدور فلله الحمد والمنة .

وشكا رجل إلى الحسن البصرى الجدب فقال : استغفر الله . وشكا إليه آخر الفقر فقال : استغفر الله ، وشكا إليه آخر عدم الولد فقال : استغفر الله ، وتلا عليهم جميعا آيات الاستغفار الواردة في سورة نوح – عليه السلام - : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٠ - ١٢

وروى أن سيدنا عمر- رضي الله عنه - استسقى يوما فلم يزد على الاستغفار، فقالوا : ما رأيناك زدت على الاستغفار . فقال : طلبت الغيث بمفاتيح السماء ثم قرأ قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ هود: ٣

وروى أبو داود والترمذي عن بلال بن يسار بن زيد قال : حدثنى أبى عن جدى أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ . »

ما يتعلق بالأمور العلوية

﴿ باب ﴾

ما يقول إذا هاجت الريح

١- النهي عن سب الريح :

روى أبو داود في سننه والبخاري في الأدب المفرد والإمام أحمد وابن ماجه بإسناد حسن عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ : **﴿ الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، قَالَ سَلَمَةُ: فَرَوْحُ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَلَا تَسُبُّوهَا وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا . ﴾** وقوله من روح الله أي رحمة الله تعالى بعباده ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَأْيَـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ يوسف: ٨٧

وروى الترمذي وغيره عن أبي بن كعب- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : **﴿ لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ .﴾**

وذكر الإمام الشافعي حديثا منقطعاً عن رجل أنه شكا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الفقر ؛ فقال النبي-صلى الله عليه وسلم- : ﴿ لَعَلَّكَ تَسُبُّ الرِّيحَ . ﴾ رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار .

قال الإمام الشافعي- رضي الله عنه - : وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسُبَّ الرِّيحَ، فَإِنَّهَا خَلْقٌ لِلَّهِ مُطِيعٌ، وَجُنْدٌ مِنْ أَجْنَادِهِ، يَجْعَلُهَا رَحْمَةً وَنِقْمَةً إِذَا شَاءَ "

ما ينبغي أن يقال عند هياج الريح :

١- التكبير :

روى ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أنس بن مالك وجابر بن عبد الله – رضي الله عنهم -عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **﴿ إذا وَقَعَتْ كَبِيرَةٌ أوْ هَاجَتْ رِيحٌ مُظْلِمَةٌ فَعَلَيْكُمْ بِالتَكْبِيرِ ؛ فَإنهُ يُجْلِي الْعجَاجَ الأَسْوَدَ . ﴾**

٢- الدعاء بالخير والاستعاذة من الشر :

روى الإمام مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت : **" كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا عَصفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِه، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِه. ﴾ قَالَتْ: وَإذَا تخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأدْبَرَ، فَإذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: ﴿ لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾**

[الأحقاف: ٢٤] **﴾**

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه عن عائشة - رضي الله عنها - : " **أنّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ إذَا رَأى نَاشِئًا فِي أُفُقِ السَّمَاءِ تَرَكَ الْعَمَلَ وَإنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿ اللَّهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، فَإنْ مُطِرَ، قَالَ: اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا .﴾**

قوله ناشئا وفي رواية شيئا وهو الغيم والسحاب وقوله " صيبا هنيئا " أي مطراً نافعاً للأرض ومن فيها ، وإنما ترك العمل وإن كان في الصلاة خوفاً من أن يكون كسحاب عاد الذي قال الله - سبحانه وتعالى - فيه : **﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ**

﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الأحقاف: ٢٤ - ٢٥

وروى ابن السني بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن سلمة بن الأكوع- رضي الله عنه - يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم- قَالَ : **كَانَ إِذا اشْتَدَّتِ الرِّيحُ، يَقُولُ: ﴿ اللَّهُمَّ لَقْحًا لا عَقِيمًا ﴾**

قال الإمام النووي:لقحًا أي حاملًا للسحاب الحاملة للماء كاللقحة من الإبل ، والعقيم التي لا ماء فيها كالعقيم من الحيوان لا ولد له .

٣- قراءة المعوذتين عند اجتماع الريح مع الظلمة :

أخرج أبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر- رضي الله عنه - قال : " **بَيْنَا أَنا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- بَيْنَ الْجُحْفَةِ، وَالْأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- يَتَعَوَّذُ بِـ (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَ (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) وَيَقُولُ: ﴿ يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا ﴾ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ .** "

٤- الجلوس على الركبتين :

أخرج الطبراني في الدعاء والتكبير من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- إِذَا هَاجَتْ رِيحٌ اسْتَقْبَلَهَا وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ: وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا وَلا تَجْعَلْهَا رِيحًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلا تَجْعَلْهَا عَذَابًا . ﴾** ورواه الإمام الشافعي في كتابه الأم بإسناده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - بلفظ : " **ما هبت الريح إلا جثا النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- على ركبتيه قال : ﴿ اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا ، اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا . ﴾**

قال الشوكاني في تحفة الذاكرين : قيل وجه هذا : أن العرب تقول لا تلقح الشجر إلا من الرياح المختلفة ، ولا تلقح من ريح واحدة فهو -ص - دعا بأن يجعلها رياحاً تلقح ولا يجعلها ريحاً لا تلقح .

وقال سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- كما نقله النووي في الأذكار : في كتاب الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴾ القمر: ١٩ ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ الذاريات: ٤١ ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ الحجر: ٢٢ ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ ﴾ الروم: ٤٦

قال الشوكاني : وبهذا يعرف أن الريح لا تأتي بالخير وقد تأتي بالشر فلعل وجه قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث : " اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا " أن الرياح لا تأتي إلا بالخير والريح تأتي تارة بهذا وتارة بهذا فسأل الله أن يجعلها رياحاً لأنها خير محضة ولا يجعلها ريحاً لأنها تحمل الخير والشر.

باب

ما يقول إذا سمع صوت الرعد والصواعق

المراد بالرعد :

الصحيح أن الرعد ملك موكل بالسحاب .

أخرج الإمام أحمد ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وغيرهم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " **أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ ، ...... ثم قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ: ﴿ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ- عز وجل - مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، بِيَدِهِ أَوْ فِي يَدِهِ مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ ﴾ قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ؟ قَالَ: ﴿ صَوْتُهُ . ﴾ قَالُوا: صَدَقْتَ .** " قال الترمذي : حسن غريب – والمخراق شيء يشبه السوط .

وقد نقل الإمام الشافعي عن الثقة عن مجاهد أن الرعد ملك ، والبرق أجنحته يسوق السحاب بها ، ثم قال : وما أشبه ما قاله بظاهر القرآن .

وقال بعضهم : وعليه فيكون المسموع صوته ، أو صوت سوقه على اختلاف فيه ، ونقل البغوي عن أكثر المفسرين أن الرعد ملك يسوق السحاب ، والمسموع تسبيحه " .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن الرعد ملك موكل بالسحاب ، وأنه يحوز الماء في نقرة إبهامه ، وأنه يسبح الله – تعالى - فلا يبقى ملك إلا يسبح فعند ذلك ينزل المطر.

وفي رواية أخرى عند البخاري في الأدب المفرد أن الرعد ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه ، وقيل : الرعد هو الصوت الذي يسمع من السحاب ، والراجح ما تقدم .

المراد بالصواعق :

قيل هي نار تسقط من السماء في رعد شديد ، وقيل : الصاعقة هي صيحة العذاب أيضًا ، وتطلق على صوت شديد غاية الشدة يسمع من الرعد ، وقال الطيبي : هي قطعة رعد تنقص معها قطعة من نار ، يقال : صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات ، إما لشدة الصوت ، وإما بالإحراق ، ولعل اختيار الجمع موافقته الآية ١٣ من سورة الرعد .

١- الدعاء :

روى الترمذي بسند ضعيف ، والإمام أحمد ، والنسائي ، والحاكم وإسناده جيد ، وبه ينجبر ضعف سند الترمذي ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : " **أنَّ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - : كَانَ إِذا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ وَالصَّوَاعِقِ، قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ .﴾**

٢- التسبيح :

روى الإمام مالك في الموطأ بإسناد صحيح عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - : أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث ، وقال : " سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " .

وروي عن الشافعي في الأم بإسناده الصحيح عن طاوس - الإمام التابعي الجليل – أنه كان يقول : " سبحان من سبحْتَ له " ، قال الإمام

الشافعي : " كأنه يذهب إلى قول الله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ الرعد: ١٣

وذكروا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كُنَّا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَنَا رَعْدٌ وَبَرْقٌ، فَقَالَ لَنَا كَعْبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ثَلاثًا عُوفِيَ مِمَّا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الرَّعْدِ. فَقُلْنَا فَعُوفِينَا ."

قال الحافظ ابن حجر: لم يذكر الإمام النووي من خرجه ، وهو عندنا بالإسناد إلى الطبراني بإسناده إليه – يعني ابن عباس - رضي الله عنهما -قال : كُنَّا مَعَ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَنَا رَعْدٌ وَبَرْقٌ، فَقَالَ لَنَا كَعْبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ثَلاثًا عُوفِيَ مِمَّا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الرَّعْدِ. فَقُلْنَا فَعُوفِينَا، ثُمَّ لَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَإِذَا بُرْدَةٌ قَدْ أَصَابَتْ أَنْفَهُ فَأَثَّرَتْ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذَا؟ قَالَ: " بُرْدَةٌ أَصَابَتْ أَنْفِي فَأَثَّرَتْ بِي ". فَقُلْتُ: إِنَّ كَعْبًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ لَنَا: " مَنْ سَمِعَ الرَّعْدَ فَقَالَ حِينَ يَسْمَعُ: سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ثَلاثًا عُوفِيَ مِمَّا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الرَّعْدِ، فَقُلْنَا: فَعُوفِينَا قَالَ: فَهَلا أَعْلَمْتُمُونَا حَتَّى نَقُولَهُ "

قال الحافظ ابن حجر: هذا موقوف حسن الإسناد ، وهو وإن كان عن كعب ، فقد أقره ابن عباس وعمر فدل على أن له أصلاً " ثم قال الحافظ : " وقد وجدت بعضه بمعناه من وجه آخر عن ابن عباس - رضي الله عنهما

- أخرجه الطبراني أيضاً عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ **إِذا سَمِعْتُمُ الرَّعْدَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّهُ لا يُصِيبُ ذاكِرًا** ﴾ وفي سنده ضعف .

وروي البخاري في الأدب المفرد بسنده عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : " سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " ثم يقول : " إن هذا الوعيد شديد لأهل الأرض . " ورواه الإمام مالك في الموطأ كما سبق ، لكن من غير هذه الزيادة .

باب

ما يقال إذا كان يوم شديد الحر أو شديد البرد

من المستحب عند اشتداد الحر أن يدعو المؤمن أن يجيره الله – تعالى - من حر نار جهنم ، وكذلك عند اشتداد البرد يسأل الله – تعالى - أن يجيره من زمهرير جهنم ، فكلاهما من نفسها ، وذلك ؛ ليتذكرها المسلم ولا ينساها ، ويعمل على البعد منها ، قال الإمام الجعفري- رضي الله عنه - :

تذكرك النار الشديد لهيبها جهنم يا هذا فكن ثاقب الفكر

وفي هذا إشارة إلى قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾** ﴾ الواقعة: ٧١ - ٧٣

وروى ابن السني بسنده عن أبي هريرة- رضي الله عنه - : حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: **﴿ إِذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ ـ عز وجل ـ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي اسْتَجَارَ بِي مِنْ حَرِّكِ فَاشْهَدِي أَنِّي أَجَرْتُهُ، وَإِنْ كَانَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ بَرْدَ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ ـ عز وجل ـ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي قَدِ اسْتَجَارَنِي مِنْ زَمْهَرِيرِكِ، وَإِنِّي أُشْهِدُكِ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ ". قَالُوا: مَا زَمْهَرِيرُ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: " بَيْتٌ يُلْقَى فِيهِ الْكَافِرُ، فَيَتَمَيَّزُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهَا بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ . ﴾**

شدة حر نار جهنم :

هل تتصور أيها المسلم أن نار الدنيا التي لا يجرؤ إنسان أن يقترب منها ، إنما هي جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة: ٨١

ففي الصحيحين ، والترمذي من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ﴿ **نارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا .** ﴾

قيل : إن جبريل حينما جاء بشرارة من النار، لينتفع بها أهل الأرض غمسها في الماء تسعة وستين مرة ، لتخف حرارتها عليهم ، ولو غمسها مرة أخرى لطفئت . فسبحان الله الخلاق العظيم .

شكوى النار إلى ربها :

هل تتصور أيها المسلم أن النار قد اشتكت إلى الله تعالى !! ترى مم اشتكت ؟ من حرها ولهيبها ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ﴿ **اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ .** ﴾

و في رواية الترمذي : ﴿ **فَأَمَّا نَفَسُهَا فِي الشِّتَاءِ فَزَمْهَرِيرٌ، وَأَمَّا نَفَسُهَا فِي الصَّيْفِ فَسَمُومٌ .** ﴾ والسموم : لفح من نفح النار شديد يتخلل المسام .

من معاني الحديث : نقل الإمام النووي في شرح مسلم : اختلف العلماء في معناه أي شكوى النار، فقال بعضهم : هو على ظاهره ، واشتكت حقيقة

وشدة الحر من وهجها وفيحها ، وجعل الله تعالى فيها إدراكًا وتمييزًا بحيث تكلمت بهذا .

ومذهب أهل السنة أن النار مخلوقة الآن ، قال : وقيل : ليس هو على ظاهره ، بل هو على وجه التشبيه والاستعارة والتقريب ، وتقديره أن شدة الحر يشبه نار جهنم فاحذروه واجتنبوا حروره ، قال : والأول أظهر . قلت : والصواب الأول ، لأنه ظاهر الحديث ، ولا مانع من حمله على حقيقته ، فوجب الحكم بأنه على ظاهره والله أعلم . اهـ كلام النووي ٢ / ٢٦٥ ط : الشعب .

كثرة ورود الاستعاذة من النار في السنة :

ما أكثر المواضع التي كان يستعيذ فيها رسول الله -ﷺ- من النار:

منها ما في سنن أبي داود عن مسلم بن الحارث التميمي الصحابي - رضي الله عنه - : " **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿ إِذَا انْصَرَفْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ، ثُمَّ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا، وَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ، فَقُلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي يَوْمِكَ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا . ﴾**

ومنها بعد التشهد الأخير: ففي الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : **﴿ إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ . ﴾**

ومنها بعد ركعتي الفجر – الرغيبة – فقد أخرج الحاكم في المستدرك ، وابن السني في عمل اليوم والليلة عَنْ مُبَشِّرِ بْنِ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " **أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتِي الْفَجْرِ ،وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- صَلَّى**

قَرِيبًا مِنهُ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ سَمِعْتهُ يَقُولُ وَهُوَ جَالِسٌ: ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ -ﷺ- أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ " ثَلاثَ مَرَّاتٍ ." ﴾

ويسن إضافة لفظ السيادة قبل اسمه -ﷺ- مع الصلاة والسلام عليه.

وعند مرور آية العذاب حين تلاوة القرآن: فقد ثبت في مسلم وغيره عن حذيفة- رضي الله عنه – " **أنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- : كَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ خَوْفٍ تعَوَّذَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ .** "

عندما يقرب إليه الطعام: فقد روى الإمام النووي في الأذكار عن ابن السنى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- : " **أنَهُ كَانَ يَقُولُ فِي الطَّعَامِ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ: ﴿ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِسْمِ اللَّهِ . ﴾**

فينبغي للمؤمنين سواه -ﷺ- أن يكونوا كذلك ، بل هم أولى به منه إذا كان غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهم من أمرهم على خطر.

﴿ بابُ ﴾

ما يقال عند القيام من المجلس أو كفارة المجلس

أولا : كراهية القيام من المجلس من غير ذكر أو صلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - :

السنة فى الجلوس أو القيام أن لا يُخلى الإنسان مجلسه من ذكر الله - سبحانه وتعالى - أو الصلاة على النبي -ص - حتى لا يكون حسرة عليه يوم القيامة.

فقد روى أبو داود ، وغيره بسند صحيح عن أبى هريرة- رضي الله عنه -قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : **﴿ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً . ﴾**

ورواه النسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ولفظه : **﴿ مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرٍ، إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ﴾**

وفي صحيح ابن حبان : **﴿ مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، وَمَا مَشَى أَحَدٌ مَمْشًى لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إلا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً، وَمَا أَوَى أَحَدٌ إِلَى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إلا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً . ﴾** وهو حديث حسن .

معنى الحديث الأول :

شبه مجلس الغفلة بالجيفة ، والقيام عنه بالتفرق عنها فى الجملة، وخصص الحمار : لأنه أبلد الحيوانات ، فشبه به من أخلى المجلس عن ذكر ربه : لأنه ضيع أنفس الأشياء فى جنب أحقرها ، وهو اللهو واللعب لاستيلاء حجاب الغفلة ، حتى منعه عن ذلك النفيس الذى لا

أنفس منه ، وهو ذكر الله تعالى . قال ابن الجزرى : عن جيفة حمار أى عن نتنه وقبحه .

والترة فى الحديث الثالث أى النقص ، وقيل التبعة ، ويجوز أن يكون حسرة ، كما فى الرواية الأخرى .

وروى الترمذي عن أبى هريرة- رضي الله عنه - أيضا عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **﴿ مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ .﴾** قال الترمذى : حديث حسن ورواه أبو داود ، والنسائي ، والحاكم ، وابن حبان ، وابن ماجه .

معنى الحديث :

قوله :" فإن شاء عذبهم " أي على ذنوبهم الماضية لا على ترك الذكر فإنه ليس بمعصية ، وقيل إنه على سبيل الزجر والتهديد ، إذ لله أن يعذب من غير ذنب ، فكيف وتفويت ذكره والصلاة على أفضل خلقه -صلى الله عليه وآله وسلم - بالكلمات التي تجرى فى المجالس الموجبة للعقوبة غالبا في غاية من التفريط والاستهتار بجانب الحق - سبحانه وتعالى - ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم - فعُلم أن ذلك المجلس لما كان مظنة للذنب نزل ما وقع فيه منزلة الذنب ، فهددوا بذلك تنفيرا للناس عن خلو مجالسهم من أحد الأمرين الذكر أو الصلاة على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم - .

ثانيا : ما يقوله عند القيام من المجلس :

ومن ثم شرع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم - لمن جلس مجلسا وغفل فيه عن ذكر الله - سبحانه وتعالى - وكثر فيه هذيانه ولغطه ، أو حدث فيه غيبة أو نميمة أو

نحو ذلك من آفات المجالس أن يختم مجلسه بهذه السنة التي تمحى بها هذه الأشياء التى توجب مقت الله - سبحانه وتعالى - .

روى الترمذى واللفظ له – وقال : حسن صحيح – عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : **﴿ مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ . ﴾**

وأخرج النسائي ، والحاكم في المستدرك عن رافع بن خديج- رضي الله عنه - قال : " **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَأَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ قَالَ : ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءًا، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ . ﴾ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ كَلِمَاتٌ أَحْدَثْتَهُنَّ؟ قَالَ: ﴿ أَجَلْ جَاءَنِي جِبْرَائِيلُ، فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، هُنَّ كَفَّارَةُ الْمَجَالِسِ . ﴾** وأخرجه الطبراني بإسناد رجاله ثقاة .

وروى النسائي ، والحاكم في المستدرك أيضا من حديث عائشة - رضي الله عنها - : " **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: ﴿ إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . ﴾**

ومنها قراءة هذه الآيات : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٢) ﴾ الصافات: ١٨٠ - ١٨٢

فقد روى الطبراني من مرسل الشعبي قال : قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَقُلْ آخِرَ مَجْلِسِهِ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]

ورُوي موقوفا عن الإمام على – كرم الله وجهه – ففي حلية الأولياء عن الإمام على – كرم الله وجهه – قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل فى آخر مجلسه أو حين يقوم : " سبحان ربك رب العزة عما يصفون .... إلى الآيات "

هذا ، وبالله التوفيق ، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم

﴿ بابُ ﴾

ما يقول إذا نظر في المرآة

تذكير بالنعم :

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن شكل ، متصفاً بأجمل وأكمل الصفات ، من حسن الصورة ، وانتصاب القامة ، وتناسب الأعضاء مزيناً بالعلم والفهم والعقل والتمييزوالنطق والأدب ، فينبغي للمؤمن أن يشكر نعمة خلق الله تعالى له في أحسن صورة وأبدع خلق ، فإذا رأى صورته في المرآة حمد الله - سبحانه وتعالى - على ذلك وقال مثل ما كان يقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا نظر في المرآة ، حتى تدوم عليه النعمة وتزيد : كما قال الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم: ٧

ما ورد في السنة من ذلك :

ذكر الإمام النووي رواية عن ابن السني بسنده عن الإمام علي - كرم الله وجهه - : **أنّ النَّبِيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ إذا نظَرَ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ قَالَ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي ﴾** زاد البزار : **﴿ وحرِّم وجهي على النار . ﴾** ورواه ابن حبان عن ابن مسعود والدارمي عن عائشة ، وكذلك البيهقي ولفظه : " **كان إذا نظر وجهه في المرآة قال : فذكره** " .

وروى ابن السني بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " **كَانَ رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا نظَرَ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ قَالَ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَلَهُ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي فَحَسَّنَهَا، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . ﴾**

شرح معاني بعض الكلمات:

قوله -ﷺ- : " كما حسنت خَلقي " بفتح الخاء أي صورتي الظاهرة ، وفيه إيماء إلى قوله -سبحانه وتعالى- : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤ سيما هو -ﷺ- فكان أحسن الناس خَلقا وخُلقاً ، ففي الترمذي : ﴿ مَا بَعَثَ اللَّهُ نبيًّا إلا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نبيُّكُمْ -ﷺ- حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ لا يُرَجِّعُ . ﴾ وقال -سبحانه وتعالى- : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤ وقوله -ﷺ- : " فحسن خُلُقي " بضم الخاء واللام ، أي الأخلاق الباطنة ، والمراد بالنسبة له -ﷺ- التثبيت على ذلك والدوام، وأما لغيره فتحصيل ذلك وتكميله .

وفي الذكر المذكور إشارة إلى أن حسن الصورة إنما يكون ممدوحًا مع حسن السيرة الناشئ عن حسن الخلق .

ثم ختم الذكر بقوله عند البزار: " وحرم وجهي " أي ذاتي من التعبير بالبعض عن الكل ، على النار لأنه المقصود ، وحذفه في رواية ابن السني ، لحصول ما ينجي فيه غالباً بحسن الأخلاق ، إذ هي ملكة يصدر عنها الأفعال الحسنة بسهولة ، ومن حسنت أفعاله ، بأن كانت على مقتضى الشرع فالجنة مآله بفضل الله -سبحانه وتعالى- وقوله -ﷺ- : " سوى خلقي فعدله " بالتشديد والتخفيف كما قرئ به قوله -سبحانه وتعالى- : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ الانفطار: ٧ وقوله " فسواك " أي جعل أعضاءك سوية سليمة معدة لمنافعها ، بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التي خلق لأجلها

، كالبطش لليد والمشي للرجل ، والتكلم للسان والإبصار للبصر والسمع للأذن ، إلى غير ذلك " فعدلك " أي عدل بعض تلك الأعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت ، مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرجلين أو الأذنين أطول من الأخرى ، أو تكون إحدى العينين أوسع من الأخرى أو بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود ، أو بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر.

ويقال : عدله عن الطريق ، أي صرفه فيكون المعنى : فصرفك عن الخلقة المكروهة التي هي لسائر الحيوانات ، وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين : ٤

وقرئ " فعدلك " بالتشديد أي صيرك معتدلًا فتناسب الخلق في غير تفاوت فيه ، فهو بمعنى الأول من المخفف .

وقال الإمام الجنيد : تسوية الخلق بالمعرفة وتعديلها بالإيمان .

وقوله : " وكرّم صورة وجهي " أي الذي عليه مدار الحسن " فحسَّنها " أي جعلها حسنة ، وقوله " وجعلني من المسلمين " أي أنه سبحانه جمع له بين الحسن الصوري وهو حسن الوجه وتسوية الخلق وتعديله ، والحسن المعنوي أي الإيمان بالله الذي عليه المدار؛ إذ لا عبرة بحسن الصورة مع فقد ذلك كما قال - سبحانه وتعالى - في شأن المنافقين : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ المنافقون : ٤ فالمدار على هذا الحسن ، أي الإيمان الذي يرد به الإنسان موارد الإحسان .

[١٣٨]

حكاية لطيفة :

روى عن يحيى بن أكثم القاضي أنه فسر قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤ بأنه حسن الصورة ، فقد حكى أن ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها إن لم تكوني أحسن من القمر فأنت كذلك ، أي : طالق فأفتى كل العلماء بالحنث إلا يحيى بن أكثم فقال : لا يحنث ، فقالوا : خالفت شيوخك ، فقال الفتوى بالعلم ، ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله - سبحانه وتعالى - فقال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ فالإنسان أحسن الأشياء ، ولا شيء أحسن منه اهـ.

﴿ باب ﴾

ما يقول إذا رأى في نفسه وماله ما يعجبه

وهو الذكر الذى تحفظ به النعم ، ويبقى به الخير والفضل .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ الكهف: ٣٩ فينبغي لمن دخل بستانه ، أو داره ، أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة فإنه لا يرى فيه سوءًا :

١-فهي دافعة للآفات :

روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أنس- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **« مَا أنعمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فِي مَالٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ وَلَدٍ فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ، فَيَرَى فِيهَا آفَةً دُونَ الْمَوْتِ،** وَقَرأَ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ وذكره النووي في الأذكار رواية عن ابن السني ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده وذكره الحافظ ابن كثير .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال : إن من أفضل الدعاء قول الرجل : ما شاء الله .

٢-وهى حافظة للنعم من الزوال ومن الحسد :

روى الطبراني عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : " **مَنْ أنعمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ، فَأَرَادَ بَقَاءَهَا، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا**

قوَّةَ إلا باللَّه " ثمَّ قرأ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- : ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾

وروى ابن السنى فى باب : ما يقول إذا رأى في نفسه وماله ما يعجبه عن أنس بن مالك- رضي الله عنه - : " **أنّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ: ﴿ مَنْ رأى شَيْئًا فَأَعْجَبَه، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لا قوَّةَ إلا باللَّه، لَمْ يَضُرَّهُ الْعَيْنُ . ﴾ يَعْنِي: لا يُصِيبُهُ الْعَيْنُ**

٣- وهى كنز من كنوز الجنة :

روى الإمام أحمد بسنده في المسند عن أبى هريرة- رضي الله عنه - عن النبي -ﷺ- أنه قال : **﴿ ألا أدُلُكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، لا قوَّةَ إلا باللَّه . ﴾**

وروى الإمام أحمد بسند آخر عن أبى بَلج عن عمرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة- رضي الله عنه - : قال لي نبي الله -ﷺ- : **﴿ يا أبا هريرة أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟ ﴾ قال : قلت نعم فداك أبى وأمي . قال : أن تقول : ﴿ لا قوة إلا بالله . ﴾ قال أبو بلج : وأحسب أنه قال : فإن الله يقول : أسلم عبدى واستسلم . قال أبو بلج : قال عمرو : قلت لأبى هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : لا ، إنها في سورة الكهف : ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾**

اهتمام السلف الصالح بهذا الذكر عند دخول الدار أو رؤية ما يعجب :

أخرج ابن أبى حاتم عن مطرف قال : كان مالك إذا دخل بيته يقول : ما شاء الله ، قلت لمالك : لم تقول هذا ؟ قال : ألا تسمع الله - سبحانه وتعالى - يقول : **﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾**

وقال ابن العربي : إن مالكا يستدل بالآية على استحباب ما تضمنته من الذكر لكل من دخل منزله ، وكذلك قال أشهب تلميذ الإمام مالك .

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى حاتم والبيهقي في الشعب عن عروة أنه كان إذا رأى من ماله شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ويتأول قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾

وروى أن من دخل منزله فقال : بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، تنافرت عنه الشياطين من بين يديه ، وأنزل الله عليه البركات .

ويفهم من بعض الروايات استحباب قول ذلك عند رؤية ما يعجب مطلقا ، سواء كان له أو لغيره وأنه إذا قال ذلك لم تصبه عين الإعجاب .

ومما يحفظ النعم الدعاء بالبركة عند رؤيتها :

روى ابن السنى في باب : " ما يقول إذا رأى من أخيه ما يعجبه "

عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : **﴿ مَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ، فَلْيُبَرِّكْ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ . ﴾**

و روى النسائي والحاكم في المستدرك عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " **انطَلَقْتُ أَنَا وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ نَلْتَمِسُ الْخَمَرَ – بفتحتين ما يستر من شجر أو جبل – فَوَجَدْنَا خَمَرًا وَغَدِيرًا، قَالَ: وَكَانَ أَحَدُنَا يَسْتَحِي أَنْ يَغْتَسِلَ، وَأَحَدٌ يَرَاهُ فَاسْتَتَرَ مِنِّي حَتَى إِذَا رَأَى أَنْ قَدْ فَعَلَ نَزَعَ جُبَّةً عَلَيْهِ مِنْ كِسَاءٍ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَاءَ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَأَعْجَبَنِي خَلْقَهُ، فَأَصَبْتُهُ بِعَيْنِي، فَأَخَذَتْهُ قَعْقَعَةً وَهُوَ فِي الْمَاءِ، فَدَعَوْتُه، فَلَمْ يُجِبْنِي، فَانطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ،**

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : ﴿ قُومُوا بِنَا ﴾ فَأَتَاهُ، فَرَفَعَ عَنْ سَاقِهِ، فَدَخَلَ الْمَاءَ فَلَمَّا أَتَاهُ ضَرَبَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حَرَّهَا وَبَرْدَهَا وَوَصَبَهَا ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿ قُمْ ﴾ فَقَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : ﴿ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَخِيهِ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ . ﴾ وأخرجه أيضا ابن ماجه والإمام أحمد في المسند .

وقد فسر النبى - ﷺ - الدعاء بالبركة فى السنة :

روى ابن السنى عن سعيد بن حكيم قال : " **كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِذَا خَافَ أَنْ يُصِيبَ شَيْئًا بِعَيْنِهِ قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَلا يَضُرُّهُ . ﴾**

قال ابن القيم : يقول اللهم بارك عليه . وقال ابن عبد البر فى التمهيد : والتبريك أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم بارك فيه.

باب

ما يقول إذا دخل السوق

أخرج البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عمر - رضي الله عنهما – قَالَ : **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ قَالَ: « لا أَدْرِي » قَالَ: فَأَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟، قَالَ:« لا أَدْرِي » قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - : « يَا جِبْرِيلُ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ » قَالَ: " لا أَدْرِي "، قَالَ: « أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ » قَالَ: " لا أَدْرِي "، قَالَ: « سَلْ رَبَّكَ » قَالَ: فَانتقَضَ جِبْرِيلُ انتِقَاضَةً كَادَ يُصْعَقُ مِنْهَا مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَقَالَ: مَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ: " سَأَلَكَ مُحَمَّدٌ: أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ فَقُلْتَ: لا أَدْرِي، وَسَأَلَكَ: أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ فَقُلْتَ: لا أَدْرِي، فَأَخْبِرْهُ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ، وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الأَسْوَاقُ "**

قال الزركشي : ولعلها شر بالنسبة إلى أنها محل الشيطان ، ومن ثم كانت أبغض البلاد إلى الله ، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : **« أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ، مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ، أَسْوَاقُهَا »**

ومن ثم شرعت هذه السنة عند دخولها ، وعظم ذكر الله تعالى فيها لأنها موطن الغفلة ومحل الشياطين فهم أول من يدخلونها براياتهم .

أولا : التسمية وسؤال الخير والاستعاذة من الشر :

روى الحاكم في المستدرك ، وابن السنى في عمل اليوم والليلة عن بريدة- رضي الله عنه - قال : " **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - إِذَا خَرَجَ إِلَى السُّوقِ قَالَ: « بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ السُّوقِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ السُّوقِ وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ فِيهَا يَمِينًا فَاجِرَةً، أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً .»**

شرح بعض المعاني:

خير هذه السوق: أي ذاتها ومكانها، وخير ما فيها: أي ما ينتفع به من الأمور الدنيوية، ويستعان به على القيام بوظائف العبودية، وللوسائل حكم المقاصد.

وشرها: أي في ذاتها ومكانها، لكونها موطن إبليس، وشر ما فيها: أي مما يشغل عن ذكر الرب - سبحانه وتعالى - أو مخالفته من غش أو خيانة أو ارتكاب عقد فاسد وأمثال ذلك.

واليمين الفاجرة: الحلف الكاذب.

والصفقة الخاسرة: أي العقد الذى فيه خسارة دنيوية أو دينية.

ثانيا: التهليل بهذه الصيغة:

روى الترمذي والحاكم وابن السنى بسند حسن عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ. »

وزاد الحاكم فى بعض طرقه: « وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. » وفيه من الزيادة: قال محمد بن واسع – راوي الحديث -: فقدمت خراسان، فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت: أتيتك بهدية فحدثته بالحديث، فكان قتيبة بن مسلم يركب في موكبه حتى يأتي السوق فيقولها ثم ينصرف.

ما العلة في هذا الثواب العظيم على العمل القليل؟

السبب في ذلك والعلة: الذكر في مواطن الغفلة، وهذا ما تشهد به السنة، فقد روى البزار، والطبراني في الكبير والأوسط، بإسناد لا بأس به

عن ابن مسعود- رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال : **﴿ ذاكِرُ اللَّهَ فِي الْغَافِلِينَ، بِمَنْزِلَةِ الصَّابِرِ فِي الْفَارِّينَ .﴾**

وعن يحيى بن أبي كثير- رضي الله عنه - قال:قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لرجل : **﴿ لا تَزَالُ مُصَلِّيًا قَانِتًا مَا ذَكَرْتَ اللَّهَ قَائِمًا، وَقَاعِدًا، أَوْ فِي سُوقِكَ، أَوْ فِي نَادِيكَ، أَوْ حَيْثُ كُنْتَ . ﴾** رواه البيهقي مرسلا ، والنادي هو مكان اجتماع الناس .

وعن مالك- رضي الله عنه - قال : بلغني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - كان يقول : **﴿ ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين ، وذاكر الله في الغافلين كغصن أخضر في شجر يابس .﴾** وفي رواية : **﴿ مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر اليابس ، وذاكر الله في الغافلين مثل مصباح في بيت مظلم ، وذاكر الله في الغافلين يريه الله مقعده من الجنة وهو حي ، وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجم. ﴾** والفصيح : بنو آدم ، والأعجم : البهائم . قال الحافظ المنذري :ذكره رزين ولم أره في شيء من نسخ الموطأ ، وإنما رواه البيهقي في الشعب عن عباد بن كثير

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - : **﴿ ذاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ عَنِ الْفَارِّينَ، وَذاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمِصْبَاحِ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ، وَذاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ يُعَرِّفُهُ اللَّهُ مَقْعَدَهُ وَلا يُعَذِّبُ بَعْدَهُ، وَذاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ فَصِيحٍ فِي السُّوقِ وَأَعْجَمِيٍّ، وَذاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ يَنْظُرُ اللَّهُ نَظْرَةً لا يُعَذِّبُهُ اللَّهُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَذاكِرُ اللَّهِ فِي السُّوقِ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْقَى اللَّهَ . ﴾** قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَكَذَا وَجَدْتُهُ مَكْتُوبًا لَيْسَ بَيْنَ سَلَمَةَ، وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ أَحَدٌ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ، وَإِسْنَادُهُ غَيْرُ قَوِيٍّ

قصة وعبرة :-

ومن ثم كان السلف الصالح يهتمون بذكر الله - سبحانه وتعالى - في مواطن الغفلة ، وانشغال الناس بقضاء حوائجهم ومصالحهم . فقد ذكر الحافظ

المنذري في الترغيب والترهيب عن أبى قلابة- رضي الله عنه - قال : التقى رجلان في السوق ، فقال أحدهما للآخر: تعالى نستغفر الله في غفلة الناس ، ففعل . فمات أحدهما فلقيه الآخر في النوم فقال : علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق . رواه ابن أبي الدنيا وغيره .

من فوائد الذكر في مثل هذه المواطن :

قال الشيخ ابن القيم - رحمه الله - في الوابل الصيب من الكلم الطيب : " الفائدة الأربعون : أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سِنَته ، والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران ، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته ، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل . "

ولعله في ذكر الله – تعالى – في السوق يحيا قلبه ، ويخاف ربه فلا يغش ، ولا يخدع ، ولا يكذب ، ولا يحلف يمينا فاجرة ، ولا يطفف الكيل والميزان ، ولا يأكل ما لا يحل له ولا يرابي ، وبذلك تسلم له اللقمة الحلال التي هي أصل قبول الدين عند الله – تعالى - . وقد قال سيدى أحمد بن زروق - رضي الله عنه - : أصل الديانة : الصحبة واللقمة .

فاللهم لا تنسنا ذكرك ، ولا تولنا غيرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تجعلنا من الغافلين ، واكفنا بحلالك عن حرامك ، وأغننا بفضلك عمن سواك يا أكرم الأكرمين .

باب

ما يقول إذا كان يفزع من منامه

فزع بعض الصحابة – رضي الله عنهم – في النوم ، فأرشدهم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى ما وقاهم منه .

روى أبو داود في سننه ، والترمذي ، وابن السنى ، والإمام أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : " **أنّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- كَانَ " يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ: ﴿ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ . ﴾ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرٍو يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ ."** قال الترمذي : حديث حسن .

وفى رواية ابن السنى : " **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم- فَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْزَعُ فِي مَنَامِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : ﴿ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ . ﴾ فَقَالَهَا، فَذَهَبَ عَنْهُ.** "

ففي رواية ابن السنى إبهام الرجل فيحتمل أن يكون خالدَ بن الوليد فقد روى الطبراني في الكبير عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- عَنْ أَهَاوِيلَ يَرَاهَا بِاللَّيْلِ، حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلاةِ اللَّيْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : ﴿ يَا خَالِدُ بْنَ الْوَلِيدِ ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ، لا تَقُولُهُنَّ ثَلاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى يُذْهِبَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْكَ؟ ﴾ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَإِنَّمَا شَكَوْتُ ذَاكَ إِلَيْكَ رَجَاءَ هَذَا مِنْكَ، قَالَ: ﴿ قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونَ . ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمْ أَلْبَثْ إِلا لَيَالِيَ يَسِيرَةً حَتَّى جَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَتْمَمْتُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي عَلَّمْتَنِي ثَلاثَ**

مَرَّاتٍ حَتَى أَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي مَا كُنْتُ أَجِدُ، مَا أُبَالِي لَوْ دَخَلْتُ عَلَى أَسَدٍ فِي حَبْسِهِ بِلَيْلٍ . "

وفائدة هذه الكلمات أن غالب الخوف والفزع يكون من وسوسة الشيطان ؛ لأن أضغاث الأحلام من الشياطين ، وينفع منها تلاوة هذه الكلمات عند الاضطجاع للنوم .

وعن أبى التياح : قال : قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ كَبِيرًا، أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ فَقَالَ: " **إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: "مَا أَقُولُ؟ "، قَالَ: قُلْ: " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ "، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . "** أخرجه أحمد ، وأبو يعلى ، ولكل منهما إسناد جيد محتج به . وقد رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلا .

قوله : " ما ذرأ في الأرض " أي خلق ، قوله : " طوارق " جمع طارق، وهو من الطرق ، وقيل أصله من الدق ، وسمى الآتي بالليل طارقا لاحتياجه إلى الدق .

﴿ باب ﴾

ما يقول إذا رأى في منامه ما يحب أو يكره

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - :
أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ : **﴿ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ . ﴾** وفي رواية أبي قتادة : **﴿ فلا يحدث بها إلا من يحب . ﴾**

وروى مسلم في صحيحه عن جابر- رضي الله عنه - عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ : **﴿ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ . ﴾**

وروى الإمام أحمد عن محمد بن سيرين - : - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ : **﴿ الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا تُعْجِبُهُ فَلْيَقُصَّهَا إِنْ شَاءَ، وَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلَا يَقُصَّهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ . ﴾**

روى ابن السنى عن أبى هريرة- رضي الله عنه - : أَنّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : **﴿ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَسَيِّئَاتِ الأَحْلامِ، فَإِنَّهَا لا تَكُونُ شَيْئًا . ﴾**

وروى سعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، وعبد الرزاق بأسانيد صحيحة عن إبراهيم النخعي قال : " إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ : أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياي هذه أن يصيبني فيها ما أكره في ديني ودنياي . "

وحقيقة الرؤيا كما قال المازري : والصحيح ما عليه أهل السنة أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان ، فإذا خلقها فكأنه جعلها علما على أمور أخرى سيخلقها في ثاني الحال ، ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ، ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف ، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر ، والعلم عند الله تعالى . أ. هـ من فتح الباري – كتاب التعبير .

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي في تذكرته المسماة : " طرف الفوائد وظرف الفرائد " : حاصل ما ذكر من آداب الرؤيا الصالحة ثلاث : ١- حمد الله تعالى . ٢- الاستبشار بها . ٣- الإخبار بها لكن لمن يحب دون من يكره .

وآداب الرؤيا المكروهة أربعة : ١- التعوذ بالله من شرها . ٢- ومن الشيطان . ٣- أن يتفل حين يستيقظ من نومه . ٤- ولا يذكرها لأحد أصلا.

زاد البخاري ومسلم موصولا خامسة ، وهى الصلاة ولفظهما : "**فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل** . " وزاد مسلم سادسة وهى التحول من جنبه الذى كان عليه ، ولفظه : " **إذا رأى أحدكم الرؤيا فكرهها فليبصق على يساره ثلاثا** ، **وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا** ، **وليتحول من جنبه الذى كان عليه** . "

قال الإمام النووي - رحمه الله - : " وينبغي أن يجمع بين هذه الروايات كلها ، ويعمل بجميع ما تضمنته ، فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها كما صرحت به الأحاديث . "

قال القرطبي : ولا ريب أن الصلاة تجمع ذلك كله : لأنه إذا قام يصلى تحرك عن جنبه ، وبصق عند المضمضة في الوضوء ، واستعاذ قبل الصلاة ، ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه ، فيكفيه شرها ، قيل وبقيت سابعة وهى قراءة آية الكرسي ، وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة ، ومستند ذلك خبر البخاري وغيره أن من قرأها في ليلة لا يضره الشيطان .

قال القاضي عياض : وحكمة التفل طرد الشيطان الحاضر للرؤيا المكروهة وتحقيره واستقذاره ، وخصت به اليسار : لأنها محل الأقذار ونحوها ، والتثليث للتأكيد . ا.هـ من كلام ابن حجر

قال بعضهم : التفل مع التعوذ يرد ما جاء به الشيطان كالنار إلى وجهه فيحترق ويصير رمادا ، قال العلقمي في شرح الجامع الصغير: وحكمة التحول التفاؤل بتحول الحال ، قال العلامة السيوطي : ولمجانبة محل الشيطان ، ولهذا أمر الناعس يوم الجمعة بالتحول عن مكانه .

والحكمة في هذه الأمور كلها ذكرها الإمام النووي بقوله : وأما قوله : " فإنها لا تضره " فمعناه أن الله جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال . ا.هـ

تنبيه :

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : الحكمة في أن من رأى رؤيا حسنة لا يحدث بها إلا من يحب ؛ لأنه لو حدّث بها عدوا أو حاسدا قد يفسرها له بغير ما يحب ، وقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك . وكذلك الرؤيا السيئة لا يحدث بها لأنها من الشيطان وقد تعبر فتقع . فقد روى أبو داود والترمذي

وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : **« الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا تَقُصَّهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ أَوْ ذِي رَأْيٍ . »**

وفى رواية الترمذي : **« سقطت »** وفى مرسل أبى قلابة عن عبد الرزاق : " الرؤيا على ما تعبر، مثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها ." وعند سعيد بن منصور بسند صحيح عن عطاء :" كان يقال : الرؤيا على ما عبرت ."

[١٥٣]

﴿ بابُ ﴾

ما يقول إذا قُصَّت عليه رؤيا

روى ابن السنى عن عبد الله بن زيد أن النبي - ﷺ - قال لمن قال له : رأيت رؤيا : **« خَيْرًا رَأَيْتَ، وَخَيْرًا يَكُون . »** وفي رواية : **« خَيْرًا تَلَقَّاهُ، وَشَرًّا تَوَقَّاهُ، وَخَيْرًا لَنَا، وَشَرًّا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . »**

﴿ بابُ ﴾

ما يقول إذا استصعب عليه أمر ، وأراد تسهيله وتيسيره من علم أو غيره

يستحب لمن استصعب عليه أمر من علم أو غيره أن يدعو بما ورد في السنة الصحيحة على لسان رسول الله - ﷺ -

روى ابن حبان ، وابن السني بسند صحيح عن أنس- رضي الله عنه - : أَنّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: ﴿ **اللَّهُمَّ لا سَهْلَ إلا ما جَعَلْتَهُ سَهْلا، وَأَنْتَ تجْعَلُ الْحَزْنَ سَهْلا إِذا شِئْتَ .** ﴾ والحَزن – بفتح الحاء وسكون الزاى - : غليظ الأرض وخشنها والمكان الصعب والوعر ، وهو ضد السهل ، ويطلق على كل شئ لا سهولة فيه من عين أو معنى ، وهذا الدعاء مقصود منه أن الله- عز وجل - يجعل كل صعب من الأمر سهلا يمكن الوصول إليه بلا صعوبة .

ويجدر بمن اشتغل بالعلم أن يشعر بالافتقار إلى الله - سبحانه وتعالى - عند الامتحان أو الإفتاء أو إلقاء العلم على الناس ، وأن يقف على بابه متضرعا داعيا أن يوفقه الله - سبحانه وتعالى - للصواب ويجنبه زلل الفكر واللسان والقلم ، ويحفظه من الخطأ في الفهم واتباع الهوى .

وجدير به أن يقول ما كان رسول الله - ﷺ - يقوله عند افتتاح صلاة الليل ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ ؟ قَالَتْ: " **كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ** : ﴿ **اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،**

عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .﴾ ومعنى: " اهدني ":أي ثبتني عليه كقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦ كذا في صحيح مسلم.

ويستحب له كذلك كما قال الشيخ ابن القيم في إعلام الموقعين : [أن يقول كما كان بعض السلف يقول : ﴿ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ البقرة: ٣٢

وكان الإمام مالك يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله العلى العظيم . وكان بعضهم يقول : ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ طه: ٢٥ - ٢٧وكان بعضهم يقرأ سورة الفاتحة – وجربنا نحن ذلك فرأيناه من أقوى أسباب الإصابة] هكذا يقول ابن القيم -رحمه الله- ثم يقول : { والمعول في ذلك كله على حسن النية وخلوص القصد وصدق التوجه في الاستمداد من المعلم الأول - سبحانه وتعالى - معلم الرسل والأنبياء – صلوات الله تعالى وتسليماته عليهم أجمعين - فإنه لا يرد من صدق في التوجه إليه لتبليغ دينه وإرشاد عبيده ونصيحتهم والتخلص من القول بغير علم ، فإذا صدقت نيته ورغبته في ذلك لم يعدم أجرا إن فاته أجران والله المستعان . }

« باب »

ما يقول إذا عرض له شيطان أو خاف منه أو ابتُلِيَ الوسواس

١- الاستعاذة :-

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الأعراف: ٢٠٠ وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٧ - ٩٨

وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء- رضي الله عنه - قال : " **قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - يصلي فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: « أعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ . » ثُمَّ قَالَ: « أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ، كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ، شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: « إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: " أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ، لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . »**

قوله : " بلعنة الله التامة " قال القاضي عياض يحتمل تسميتها التامة أي لا نقص فيها ، ويحتمل الواجبة له المستحقة عليه ، أو الموجبة عليه عقاباً سرمداً ، قال ابن الجوزي أشار بتامة إلى دوامها .

وأخرج أبو يعلى من حديث أنس- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : **﴿ مَنِ اسْتعَاذَ بِاللَّهِ تعَالَى فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَّلَ اللَّهُ تعَالَى بِهِ مَلَكًا يَذُودُ عَنْهُ الشَّيْطَانَ . ﴾**

وروى الترمذي ، وأبوداود ، وعند الإمام أحمد : " **أن النبي- صلى الله عليه وسلم - كان يتعوذ في صلاته** ، **ويقول** : **﴿ أعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنفْخِهِ وَنفْثِه . ﴾**

وأخرج الترمذي وحسنه من حديث معقل بن يسار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : **﴿ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ . ﴾**

٢- آية الكرسي :-

ومما هو معلوم ومقرر في السنة لطرد الشيطان قراءة آية الكرسي .

فقد أخرج البيهقي في دلائل النبوة والدعوات الكبير عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : " **وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وسلم - بِزَكَاةِ رَمَضَانَ، فَكُنتُ أَحْفَظُهَا فَأَتَانِي آتٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتهُ فَشَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتهُ، وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحَ فَقَالَ النَبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ﴿ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ اللَّيْلَةَ؟ ﴾ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً فَرَحِمْتُهُ، وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ﴿أَمَا إِنهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، ﴾ قَالَ: فَرَصَدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذَهُ، فَقَالَ: لَأَرْفَعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: فَشَكَا إِلَيْهِ حَاجَةً وَعِيَالًا فَرَحِمَهُ وَخَلَّى سَبِيلَه، فَأَصْبَحَ، فَقَالَ لَهُ النَبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ ﴾ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، ذَكَرَ حَاجَةً وَعِيَالًا كَثِيرًا، فَرَحِمْتهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ﴿ أَمَا إِنهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ . ﴾ قَالَ: فَرَصَدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، قَالَ:**

لَأرْفَعنَكَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: دَعْنِي فَإنِّي لَا أعُودُ، وَأعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: إذَا أوَيْتَ إلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ حَتى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإنَهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبِحَ، قَالَ: فَأصْبَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : « مَا فَعَلَ أسِيرُكَ اللَّيْلَةَ؟ » قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَلَّمَنِي شَيْئًا زَعَمَ أنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنفَعُنِي بِهِ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: « وَمَا هُوَ؟ » قَالَ: أمَرَنِي أنْ أقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ إذَا أوَيْتُ إلَى فِرَاشِي، وَزَعَمَ أنَهُ لَا يَقْرَبُنِي شَيْطَانٌ حَتى أُصْبِحَ، وَلَا يَزَالُ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، قَالَ: « إنَهُ قَدْ صَدَّقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، أتَدْرِي مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أبَا هُرَيْرَةَ؟ » قَالَ: لَا، قَالَ: « ذَلِكَ شَيْطَانٌ . » ورويت هذه القصة عند الإمام أحمد والترمذي لأبي أيوب الأنصاري وعند الطبراني لمعاذ بن جبل.

٣- قل هو الله أحد والمعوذتين :-

ومن أعظم ما يندفع به شر الشيطان قراءة : قل هو الله أحد والمعوذتين ، وقد أخرج البزار بإسناد رجاله رجال الصحيح من حديث عبد الله الأسلمي قال : " **كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي عُمْرَةٍ حَتى إذَا كُنَّا بِبَطْنِ وَاقِمٍ، اسْتَقْبَلَتْنَا ضَبَابَةٌ فَأضَلَّتْنَا الطَّرِيقَ، فَلَمْ نَشْعُرْ حَتى طَلَعْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَلِكَ عَدَلَ إلَى كَثِيبٍ، فَأنَاخَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَامَ وَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَمَا زَالَ يُصَلِّي حَتى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَأخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِرَأْسِ نَاقَتِهِ، ثُمَّ مَشَى وَعَبْدُ اللَّهِ الأسْلَمِيُّ إلَى جَنْبِهِ، مَا أحَدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- غَيْرُهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ**

-ﷺ- يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ » قُلْتُ: مَا أقُولُ؟ قَالَ: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أحَدٌ، قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » حَتى فَرَغْتُ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ » قُلْتُ: مَا أقُولُ؟ قَالَ: « قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » قُلْتُ: قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتى فَرَغْتُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : « هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، فَمَا تَعَوَّذَ الْعِبَادُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ . »

وروى أبو داود ، والترمذي عن عبد الله بن حبيب- رضي الله عنه - قال : " خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: ﴿ قُلْ ﴾ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿ قُلْ ﴾ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ : ﴿ قُلْ ﴾ فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ﴿ قُلْ: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . ﴾

وروى الترمذي ، والنسائي عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - قال : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ حَتَى نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا " وأخرجه ابن ماجه من حديثه أيضًا .

قال الشوكاني : وفي الحديث دليل على أن الاستعاذة بهاتين السورتين أولى من الاستعاذة بغيرهما ، لكن لا في مطلق الاستعاذة بل في التعوذ من الجان وعين الأنس .

وأخرج أحمد برجال ثقات من حديث عقبة قال : لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَقَالَ لِي :﴿ يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنزلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ، لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . ﴾

قال الشيخ ابن القيم في الوابل الصيب : ومن أعظم ما يندفع به شره – يعني الشيطان – قراءة المعوذتين وأول الصافات يعني عشر آيات وأخر الحشر يعني ثلاث آيات أي لورود الأثار الصحيحة بذلك .

٤– التهليل :

روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : ﴿ مَنْ قَالَ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ

مائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنهُ مائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . ﴾

وروى الترمذي عن أبي ذر- رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال : **﴿ مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَتْ عَنهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنبَغِ لِذَنبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ بِاللَّهِ . ﴾**

ما يقول من بلي بالوسوسة في الصدر :

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- : **﴿ يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى، يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ ﴾** وفي رواية لمسلم من حديثه فليقل : **﴿ آمنت بالله ورسله . ﴾** وفي رواية لأبي داود والنسائي من حديثه أيضاً فقولوا : **﴿ الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾**

وفي سنن أبي داود أن رجلاً شكا لابن عباس - رضي الله عنهما - شيئا وجده في نفسه من الوسوسة فأمره أن يقرأ : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد: ٣

الوسوسة في الأعمال :

روى مسلم في صحيحه : أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أتى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وآله وسلم- **فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ،**

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : « ذاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنزَبٌ، فَإِذا أحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنهُ، واتفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثا » قَالَ: فَفَعَلْتُ ذلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

وروى الإمام النووي بإسناده الصحيح في رسالة القشيري عن أحمد بن عطاء الروذباري- رضي الله عنه - قال : كان لي استقصاء في أمر الطهارة، وضاق صدري ليلة لكثرة ما صببت من الماء ، ولم يسكن قلبي ، فقلت : يا رب عفوك عفوك ، فسمعت هاتفاً يقول العفو في العلم فزال عني .

باب

دخول الجن في بدن المصروع ومسه

ذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون : إن الجن تدخل في بدن المصروع كما قال الله -عز وجل- : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ البقرة: ٢٧٥ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى : إن قومًا يقولون: إن الجن لا تدخل في بدن الإنس ، قال : يا بني يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه . [مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ : ١٩ / ص : ١٢].

قال الإمام بدرالدين بن عبد الله الشبليّ : قلت ذكر الدارقطني في الجزء الذي انتقاه من حديث أبى سهل ابن زياد الفرقد السنحي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: **إنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِابْنٍ لَهَا إلَى رَسُولِ اللَّه -صلى الله عليه وآله وسلم- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه إنَّ ابْنِي بِهِ جُنُونٌ، وَإِنهُ يَأْخُذُهُ عِنْدَ غَدَائِنَا وَعَشَائِنَا فَيُخَبِّثُ عَلَيْنَا،** " **فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وآله وسلم- صَدْرَهُ، وَدَعَا فَثَعَّ ثَعَّةً، وَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ مِثْلُ الْجِرْوِ الْأَسْوَدِ، فَسَعَى** " [ورواه أحمد في مسنده والدارمي بنحوه والبيهقي في دلائل النبوة] .

وروى الإمام أحمد ، وأبو داود ، وأبو القاسم الطبراني من حديث أم أبان بنت الوازع عن أبيها أَنَّ جَدَّهَا الزَّارِعَ ، انْطَلَقَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- فَانْطَلَقَ مَعَهُ بِابْنٍ لَهُ مَجْنُونٍ أَوِ ابْنِ أُخْتٍ لَهُ، قَالَ جَدِّي: " **فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّه -صلى الله عليه وآله وسلم- الْمَدِينَةَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مَعِي ابْنًا لِي أَو ابْنَ أُخْتٍ لِي مَجْنُونٌ أَتَيْتُكَ بِهِ تَدْعُو اللَّهَ -عز وجل- لَهُ، فَقَالَ: ﴿ ائْتِنِي بِهِ ﴾ ، فَانطَلَقْتُ بِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي الرِّكَابِ ، فَأَطْلَقْتُ عَنْهُ وَأَلْقَيْتُ عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ وَأَلْبَسْتُهُ ثَوْبَيْنِ حَسَنَيْنِ، وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتى انتَهَيْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّه -صلى الله عليه وآله وسلم- فَقَالَ: ﴿ ادْنُهُ مِنِّي اجْعَلْ ظَهْرَهُ مِمَّا يَلِينِي ﴾ ، قَالَ: فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ مِنْ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ حَتى**

رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ: « اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ . » فَأَقْبَلَ يَنظُرُ نَظَرَ الصَّحِيحِ لَيْسَ بِنظَرِهِ الأَوَّلِ، ثُمَّ أَقْعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَيْنَ يَدَيْهِ، فَدَعَا لَهُ بِمَاءٍ، فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَدَعَا لَهُ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْوَفْدِ أَحَدٌ بَعْدَ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَفْضُلُ عَلَيْهِ . " وهذا الحديث فيه ضرب الجني وإن لم تدع الحاجة إلى الضرب فلا يضرب .

وقد روى البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال : " **خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي حَجَّتِهِ الَّتِي حَجَّهَا، فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ الرَّوْحَاءِ، عَارَضَتْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ، فَوَقَفَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا ابْنِي فُلَانٍ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا زَالَ فِي خَنَقٍ وَاحِدًا، أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، مُنْذُ وَلَدْتُهُ إِلَى السَّاعَةِ، فَأَكْسَحَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَبَسَطَ يَدَهُ فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّحْلِ، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: « اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ» ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ، فَقَالَ: « خُذِيهِ فَلَنْ تَرَي مِنْهُ شَيْئًا يُرِيبُكِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » قَالَ أُسَامَةُ: فَقَضَيْنَا حَجَّنَا، ثُمَّ انْصَرَفْنَا، فَلَمَّا نَزَلْنَا بِالرَّوْحَاءِ، فَإِذَا تِلْكَ الْمَرْأَةُ أُمُّ الصَّبِيِّ، فَجَاءَتْ وَمَعَهَا شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أُمُّ الصَّبِيِّ الَّذِي أَتَيْتُكَ بِهِ، قَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا يُرِيبُنِي إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ، قَالَ أُسَامَةُ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " يَا أُسَيْمُ "، قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَهَكَذَا كَانَ يَدْعُو بِهِ يُخَمِّسُهُ « نَاوِلْنِي ذِرَاعَهَا » فَامْتَلَخْتُ الذِّرَاعَ إِيَّاهُ، فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَالَ: « يَا أُسَيْمُ، نَاوِلْنِي ذِرَاعَهَا » فَامْتَلَخْتُ الذِّرَاعَ، فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ، فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَالَ: « يَا أُسَيْمُ، نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قَدْ قُلْتَ: نَاوِلْنِي فَنَاوَلْتُكَهَا، ثُمَّ قُلْتَ: نَاوِلْنِي فَنَاوَلْتُكَهَا فَأَكَلْتَهَا، ثُمَّ قُلْتَ: نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ وَإِنَّمَا لِلشَّاةِ ذِرَاعَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَهْوَيْتَ إِلَيْهَا مَا زِلْتَ تَجِدُ فِيهَا ذِرَاعًا مَا قُلْتُ لَكَ . »** [ورواه البيهقي في دلائل النبوة ، والدارمي في المقدمة] .

فكل هذه الأحاديث تدل على أن الجن يمس الإنسي ويؤذيه ، ويدخل في جسده ، ويخرج منه ، والله على كل شئ قدير. [ينظر آكام المرجان في أحكام الجان ص: ١٢٠، ١٢٦، ١٢٧] .

باب

كيفية علاج المصروع

أخرج البخاري ، ومسلم ، والنَّسائي ، والبزار من حديث عطاء بن أبي رباح قال : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - : " **أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: ﴿ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ﴾ فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا** "

أنواع الصرع :

قال الشيخ ابن القيم :

" الصرع صرعان : صرعٌ من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرعٌ من الأخلاط الرديئة ، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه .

النوع الأول : صرع الأرواح الخبيثة :

وأما صرع الأرواح فأئمة الأطباء وعقلاؤهم يعترفون به ، ولا يدفعونه ، ويعترفون بأن علاجه مقابلة الأرواح الشريفة الخيِّرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة فتدفع آثارها ، وتعارض أفعالها وتبطلها .

وعلاج هذا النوع يكون بأمرين : أمرٌ من جهة المصروع ، وأمرٌ من جهة المعالج .

الأول : الذي من جهة المصروع : يكون بقوة نفسه ، وصدق توجهه إلى الله - عز وجل - فاطر هذه الأرواح وبارئها ، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فإن هذا نوع محاربة ، والمحارب لا يتم له

الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا لأمرين : أحدهما : أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً . والثاني : أن يكون الساعد قوياً . فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً ، يكون القلب خرابًا من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ، ولا سلاح له .

والثاني : من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضا . حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله : اخرج منه ، أو يقول : باسم الله ، أو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . والنبي -ﷺ- كان يقول : (اخرج عدوَ الله أنا رسول الله) . [كما رواه أبو داوود عن أسامة بن زيد] .

وشاهدت شيخنا - يعني ابن تيمية - يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول : قال لك الشيخ أخرجي فإن هذا لا يحل لك فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردةً فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع وربما لا يحس بألم . [كما ثبت عند الإمام أحمد وأبي داوود والطبراني عن أم أبان بنت الوازع عن أبيها] . "

يقول الشيخ ابن القيم : وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارًا .

وكان كثيرا ما يقرأ في أذن المصروع : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٥

وحدثني أنه قرأها مرة في أذن المصروع ، فقالت : الروح نعم ، ومد بها صوته ، قال : فأخذت له عصاً وضربته بها في عروق عنقه حتى كلَّت يداي من الضرب ولم يشك الحاضرون بأنه يموت لذلك الضرب ، ففي أثناء الضرب ، قالت : أنا أحبه فقلت لها : هو لا يحبك ، قالت : أنا أريد أن أحج به ، فقلت : لها هو لا يريد أن يحج معك ، فقالت : أنا أدعه كرامةً لك

، قال : قلت لا ، ولكن طاعةً لله ولرسوله - ﷺ - قالت : فأنا أخرج منه ، قال : فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً ، وقال : ما جاء بي إلى حضرة الشيخ ؟ قالوا له : وهذا الضرب كله ؟ فقال : وعلي أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب ؟ ولم يشعر بأنه وقع به الضرب البتة . وكان يعالج بآية الكرسي ، وكان يأمر بكثرة قراءتها للمصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين . أ . هـ [من كتاب الطب النبوي] .

ويقول الشيخ الشبلي : نقلًا عن ابن تيمية من أعظم ما يُنتَصَر به عليهم قراءة آية الكرسي ، فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته ؛ فإن لها تأثيراً عظيماً في طرد الشياطين عن نفس الإنسان ، وعن المصروع ، وعمن تعينه الشياطين من أهل الظلم والغضب ، وأهل الشهوة والطرب وأرباب سماع المكاء والتصدية إذا قرئت عليهم بصدق .

وكذلك الأذان يتلى في أذن المصروع فقد ثبت في الصحيح عند مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : ﴿ **إِذا أذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، أدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ حُصَاصٌ** ﴾

وكذلك قراءة هذه الآيات جملة واحدة في مجلس واحد .

أخرج الحاكم ، وأحمد – وهذا لفظه -من حديث أبي بن كعب- رضي الله عنه – قَالَ : " **كُنتُ عِندَ النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ أعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إنَّ لِي أخًا وَبِهِ وَجَعٌ، قَالَ: ﴿ وَمَا وَجَعُهُ ؟ ﴾ قَالَ: بِهِ لَمَمٌ ، قَالَ: ﴿ فَأْتِني بِهِ ﴾ فَأتَاهُ بِهِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَوَّذَهُ النَبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَأرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ: شَهِدَ اللَّهُ أنَّهُ لا إِلَهَ إلا**

هُوَ، وَآيَةٍ مِنَ الأَعْرَافِ : إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَآخِرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنونَ: فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ، وَآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ: وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ، وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ، وَثَلاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، "، فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْكُ شَيْئًا قَطُّ ."

قال الشيخ ابن القيم في الطب النبوي :

وبالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه ، لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة ، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم ، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصينات النبوية والإيمانية – أذكار الصباح والمساء - فتلقى الروح الخبيثةُ الرجلَ أعزل لا سلاح معه وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا .

<u>النوع الثاني : صرع الأخلاط :</u>

أما صرع الأخلاط فهو علة تمنع الأعضاء النفيسة عن الأفعال والحركة والانتصاب منعاً غير تام .

وسببه خلط غليظ لزج يسد منافذ بطون الدماغ سدةً غير تامة ، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذًا ما من غير انقطاع بالكلية .

وقد يكون لسببٍ آخر : كريحٍ غليظ يحتبس في منافذ الروح أو بخار ردئ يرتفع إليه من بعض الأعضاء ، أو كيفية لاذعة فينقبض الدماغ لدفع المؤذي فيتبعه تشنج في جميع الأعضاء ، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصبًا ، بل يسقط ويظهر في فيه الزبد غالبا .

وهذه العلة تعد من جملة الأمراض الحادثة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة ، وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول

مكثها وعسر برئها ، لاسيما إن جاوز في السن خمساً وعشرين سنة . وهذه العلة في دماغه وخاصةً في جوهره فإن صرع هؤلاء يكون لازمًا .

إذا عُرِفَ هذا : فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تُصرع وتنكشف ، يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع ، فوعدها النبي -ﷺ- الجنة بصبرها على هذا المرض ، ودعا لها أن لا تنكشف وخيَّرها بين الصبر والجنة وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان ، فاختارت الصبر والجنة . في ذلك دليلٌ على جواز ترك المعالجة والتداوي وأن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء ،وأن تأثيره وفعله وتأثر الطبيعة عنه وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية وانفعال الطبيعة عنها وقد جربنا هذا مراراً نحن وغيرنا . ا. هـ [من كتاب الطب النبوي]

باب

الوقاية من المس الشيطاني

ما يعتصم به العبد من الشيطان ، ويستدفع شره ، ويحترز به منه من الحروز القرآنية ، والحصون النبوية .

أولًا : الحروز القرآنية :

الحرز الأول : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في كل صباحٍ ومساء : قال تعالى : : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٠ والاستعاذة تكون عشر مرات : لحديثٍ رواه أبو يعلى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : ﴿ **مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مَلَكًا يَذُودُ عَنْهُ الشَّيْطَانَ .** ﴾

وفي صحيح البخاري عن عدي بن ثابت عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: " **كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : ﴿إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ.** ﴾

الحرز الثاني : قراءة المعوذتين : فإن لهما تأثيراً عظيماً في الاستعاذة بالله من شره ودفعه والتحصن منه ، وقد ورد عند الإمام أحمد وغيره أَنَّ ابْنَ عَابِسٍ الْجُهَنِيَّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : ﴿ **يَا ابْنَ عَابِسٍ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ .** ﴾ وكان يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم ، وأمر عقبة بن عامر أن يتعوذ بهما دبر كل صلاة .

وقال -ﷺ- : (إن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثًا حين يمسي، وثلاثًا حين يصبح كفته من كل شيء) ، فقد روى أبو داود والترمذي عن عبد الله بن حبيب- رضي الله عنه - قال : " **خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: ﴿ قُلْ ﴾ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثمَّ قَالَ: ﴿ قُلْ ﴾ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: ﴿قُلْ﴾ فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ﴿ قُلْ: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .﴾**

<u>الحِرز الثالث</u> : قراءة آية الكرسي : وأخرج البيهقي في دلائل النبوة والدعوات الكبير عن أبي هريرة- رضي الله عنه - : " **وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِزَكَاةِ رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَحْفَظُهَا فَآتَانِي آتٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَشَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ، وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ﴿ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ اللَّيْلَةَ؟ ﴾ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً فَرَحِمْتُهُ، وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ﴿أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، ﴾ قَالَ: فَرَصَدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذَهُ، فَقَالَ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: فَشَكَا إِلَيْهِ حَاجَةً وَعِيَالًا فَرَحِمَهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- : ﴿ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ ﴾ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ذَكَرَ حَاجَةً وَعِيَالًا كَثِيرًا، فَرَحِمْتُهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ﴿ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ . ﴾ قَالَ: فَرَصَدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، قَالَ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي لَا أَعُودُ، وَأُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ حَتَى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَى تُصْبِحَ، قَالَ: فَأَصْبَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : ﴿ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ اللَّيْلَةَ؟ ﴾ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَلَّمَنِي شَيْئًا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْفَعُنِي بِهِ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ﴿ وَمَا هُوَ؟ ﴾ قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ إِذَا أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يَقْرَبُنِي شَيْطَانٌ حَتَى أُصْبِحَ، وَلَا يَزَالُ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، قَالَ: ﴿ إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، أَتَدْرِي مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا**

هُرَيْرَةَ؟ » قَالَ: لَا، قَالَ: « ذلِكَ شَيْطَانٌ . » ورويت هذه القصة عند الإمام أحمد والترمذي لأبي أيوب الأنصاري وعند الطبراني لمعاذ بن جبل.

الحرز الرابع : قراءة سورة البقرة : ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: **« لَا تجْعَلُوا بُيُوتكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنفرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ . »**

الحرز الخامس : خاتمة سورة البقرة : فقد ثبت في صحيح البخاري عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : **« مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ . »**

وفي سنن الدارمي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: **« إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا تقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ »**

الحرز السادس : أول سورة حم المؤمن – سورة غافر - : ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ٣ ﴾ غافر: ١ - ٣ ففي الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : **« مَنْ قَرَأَ " حم الْمُؤْمِنَ إِلَى إِلَيْهِ الْمَصِيرُ "، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ، حُفِظَ بِهِمَا حَتَى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَى يُصْبِحَ . »**

ثانيًا : الحصون النبوية :

١) المحافظة على الصلاة والالتزام بأمور الشرع : لحديث : (**احفظ الله يحفظك**) . [رواه أحمد والترمذي] .

٢) المحافظة على الأذكار القرآنية والنبوية : ففيهما الوقاية والتحصين ضد الشيطان . فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ : ﴿ **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ، إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ .** ﴾

وروى الإمام أحمد ، وأبو داوود ، وابن ماجه عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلَاءَ، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ .** ﴾

٣)الاستعاذة :

عند دخول المسجد : فقد روى أبو داوود في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- : " **أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، قَالَ** : ﴿ **أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَالَ: أَقَطُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ .** ﴾

وعند دخول الخلاء : فقد جاء في البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " **كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، قَالَ** : ﴿ **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ .** ﴾

وروى الترمذي ، وابن ماجه عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ : ﴿ **سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ .** ﴾

٤)عدم الكلام أو الصراخ أو الغناء في دورات المياه : ففي المسند عَنْ هِلَالِ بْنِ عِيَاضٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ- رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ : **« لَا يَخْرُجْ الرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ، كَاشِفَانِ عَوْرَتَهُمَا، يَتَحَدَّثَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَمْقُتُ عَلَى ذَلِكَ »** لأن هذه الأماكن يسكنها الجن والشياطين ، والصراخ والغناء يؤذي ساكنيها من الجن فتنتقم ممن يفعل ذلك .

٥) البسملة : عند دخول الأماكن المهجورة والمظلمة والصحاري وعند القفز من الأماكن المرتفعة وقبل إلقاء الماء الساخن في دورات المياه ، وكذا عند إلقاء حجر أو شئ ثقيل على الأرض ، لأن هذا قد يؤذي الجن فتنتقم من الإنس .

٦) عدم التبول في الجحور والشقوق : لأنها مساكن الجن ، ففي سنن أبي داود عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ " **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْجُحْرِ**"، **قَالَ: قَالُوا لِقَتَادَةَ: مَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَوْلِ فِي الْجُحْرِ؟ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: إِنَّهَا مَسَاكِنُ الْجِنِّ .** "

٧)لا تؤذ كلباً أو قطة أو ثعباناً أو حية في المنزل أو غيره من غير إنذار: لأن الجن تتشكل على صورة هذه الحيوانات . والإذن أن يقول : إن كنت من إخواننا الجن فانصرف ، وإلا قتلتك .

٨) التعوذ عند الجماع : لما وراه مسلم في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : **« لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا .»** وعند البخاري : قيل : لا يشارك في الجماع ، كما روي عن مجاهد . وقيل : لم يصرعه . أ . هـ من فتح الباري - شرح صحيح البخاري

٩) تعويذ الصبيان : كما كان النبي -ﷺ- يعوذ الحسنين فقد روى الترمذي وأبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما – قَالَ : " **كَانَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، يَقُولُ: ﴿ أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّه التَامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ، وَيَقُولُ: هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَام . ﴾**

١٠) منع الصبيان من الخروج واللعب بعد غروب الشمس مباشرة : لحديث الشيخين عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : **﴿ إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ ﴾** والحكمة في ذلك أن الذِكر الذي يحرّز من الشيطان مفقود من الصبيان غالباً .

١١)التسمية عند دخول المنزل وعند الطعام والشراب : فقد روى مسلمٌ وأبو داوود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ : **﴿ إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ. ﴾**

١٢) وكذلك الدعاء عند الخروج من المنزل : فقد روى ابن ماجه بإسناد جيد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: **﴿ إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ أَوْ مِنْ بَابِ دَارِهِ كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، قَالَا: هُدِيتَ، وَإِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَا: وُقِيتَ، وَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، قَالَا: كُفِيتَ، قَالَ: فَيَلْقَاهُ قَرِينَاهُ، فَيَقُولَانِ: مَاذَا تُرِيدَانِ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ . ﴾**

١٣)التهليل : ففي الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ﴿ مَنْ قَالَ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . ﴾

١٤)كثرة ذكر الله - عز وجل - : وهو من أنفع الحصون من الشيطان . ففي الترمذي من حديث الحارث الأشعري أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، ...... وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ . ﴾ [قال الترمذي . هذا حديث حسن غريب صحيح . وقال البخاري : الحارث الأشعري له صحبة ، وله غير هذا الحديث] .

فقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث أن العبد لا يتحرز من الشيطان إلا بذكر الله ، وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس ، والخناس : الذي إذا ذكرَ العبدُ اللهَ اختنس وتجمع وانقبض ، وإذا غفل العبد عن ذكر الله التقم القلب وألقى إليه الوساوس التي هي مبادئ الشر كله . فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بشئٍ مثل ذكر الله - عز وجل - .

١٥)إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس : فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال غرضه من هذه الأبواب الأربعة .

والله أعلم وأحكم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أعدها العبد الفقير/

محمد سيد سلطان أبو نبوت

خادم العلم بالأزهر الشريف

فهرس